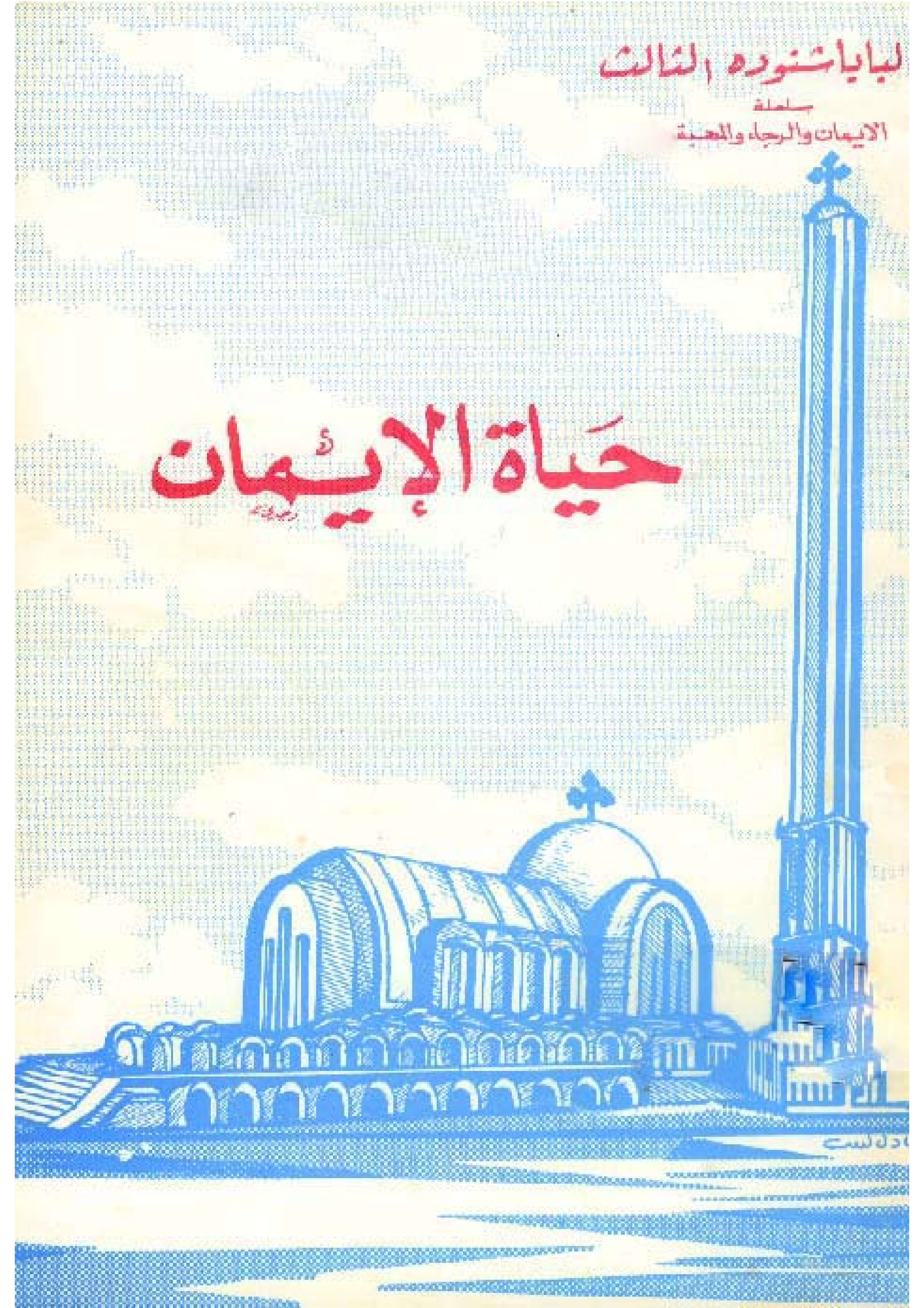
htm





البابا شنوده الثالث
سلسلة
الايمان والرجاء والمحبة
حياة الإيمان



حضرة صاحب القداسة والغبطة

البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

فهرست

قصة هذا الكتاب

إنه ثمرة أكثر من ١٥ محاضرة ألقيت كلها فى الكاتدرائية المرقسية بدير الأنبا رويس بالقاهرة (ماعدا الثلاث محاضرات الأولى). وقد حان الآن نشرها بناء على دعوة من مجلس كنائس الشرق الأوسط الذى قرر عقد اجتماع عن الإيمان فى منتصف سبتمبر ١٩٨٤.

أما هذه المحاضرات ـ مصدر هذا الكتاب ـ فهى حسب تواريخها كالآتى :

١ ـ محاضرة ألقيت فى مؤتمر عن الإيمان عقد فى كنيسة المنصورة يوم ١٩٦٦/٦/١.

٢ ، ٣ ـ محاضرتان عن الإيمان ألقيتا فى القاعة المرقسية بدير الأنبا رويس يومى الجمعة ١٩٦٦/٧/٨ ، ١٩٦٦/٧/١٥.

٤ ـ ٧ ـ أربع محاضرات ألقيت فى الكاتدرائية الكبرى سنة ١٩٧١ تأملاً فى «كما قسم لكل واحد نصيباً من الإيمان» (رو ١٢ : ٣).

٨ ـ محاضرة عن الإيمان ألقيت فى الكاتدرائية الكبرى فى أواخر مايو سنة ١٩٧٣ بمناسبة عودة رفات القديس أثناسيوس إلى القاهرة.

٩ ـ محاضرة عن عوائق الإيمان ألقيت يوم الجمعة ٢٣ / ٥ / ١٩٧٥.

١٠ ـ محاضرة يوم الجمعة ١٩٨٠/٢/٢٢ ، موضوعها (ناظرين إلى ما لا يرى).

١١ ـ محاضرة يوم الجمعة ١٩٨٠/٧/٢٥ ، موضوعها (بساطة الإيمان) .

١٢ ـ محاضرة يوم الجمعة ١٩٨٠/٩/٢٦ ، موضوعها (لا يعلم إلى أين يذهب).

١٣ ـ محاضرة يوم الجمعة ١٩٨٠/١٠/٣ ، موضوعها (الإيقان بأمور لا ترى).

١٤ ـ محاضرة يوم الجمعة ١٩٨١/٨/١٤ ، موضوعها (طاعة الإيمان) .

١٥ ـ محاضرات متفرقة نشرت فى مجلة الكرازة .

وقد سجلت هنا هذه التواريخ لمن يريد أن يحصل على التسجيلات الصوتية الخاصة بحياة الإيمان، راجياً للقارىء العزيز حياة مملوءة بالإيمان.

البابا شنوده الثالث

مقدمـــة

ليس الإيمان هو مجرد اعتناق مجموعة من العقائد ، تتلوها فى « قانون الإيمان »... إنما الإيمان هو حياة تحياها أو هو عقيدة تقود إلى حياة ...

لأنه ما فائدة الإيمان بالله ، بدون أن تكون لك علاقة بهذا الإله : تطيعه وتحبه ، وتكون لك عشرة معه تؤهلك إلى عشرة دائمة فى ملكوته ؟!

وما فائدة الإيمان بالأبدية والحياة بعد الموت ، إن لم تعد نفسك لها بالتوبة ، وبالسهر الروحى الدائم ، وبمحبة الله .

وما فائدة الإيمان بالفضيلة ، إن كنت لا تحياها .

لذلك فإن هناك فرقاً كبيراً جداً بين الإيمان النظرى الذى لا يخلص النفس ، والإيمان العملى الذى تظهر ثماره فى حياتك . وهكذا تحيا حياة الإيمان ...

إننا من أجل حياة الإيمان ، وضعنا كتابنا هذا ...

نشرح لك ما هو الإيمان ، وما هى درجاته وأنواعه ، وما أهمية الإيمان فى حياتنا ، وما عظمته ... ؟

ولقد أردنا أن نقف قليلاً عند قول القديس بولس الرسول : **« جربوا أنفسكم : هل أنتم فى الإيمان ؟ إمتحنوا أنفسكم »** (٢ كو ١٣ : ٥) .

فليس كل إنسان يقول إنه مؤمن ، هو مؤمن بالحقيقة . بل المقياس لذلك هو قول الرب « من ثمارهم تعرفونهم » (متى ٧ : ١٦) .

لأن هناك من له إسم المؤمن ، وليس له قلب المؤمن ، ولا حياة المؤمن . فما هى حياة المؤمن هذه ؟

حياة الإيمان ترتبط بالسلام والاطمئنان وعدم الخوف . فإن وقع فى الخوف ، يقول له الرب « يا قليل الإيمان ، لماذا شككت » (متى ١٤ : ٣١) .

وحياة المؤمن ترتبط بنقاوة السيرة ، لأن المؤمن يشعر دواماً أن الله أمامه يرى ويسمع ويسجل كل ما يعمله. لذلك يشعر بالإستحياء ، ويخاف أن يخطىء أمام الله.

وحياة المؤمن هي حياة التسليم للمشيئة الإلهية ، في إيمان كامل أن الله هو صانع الخيرات ، وكل ما يسمح به هو خير. لذلك بالإيمان يعيش أولاد الله في هدوء وفي فرح وفي رضى بكل ما يريده الرب لهم.

وحياة الإيمان ، لا ترى شيئاً مستحيلاً على الرب . بل كما يقول :

« كل شيء مستطاع للمؤمن » (مر ٩ : ٢٣) .

لذلك فإن المؤمن لا يهتز في أية ضيقة تحل به ، بل يؤمن تماماً أن الله عنده حلول كثيرة ، وأنه لا بد سيتدخل ويصنع مشيئته...

المؤمن لا يجادل الله ولا يناقشه فيما يفعله ، بل يقبل كل شيء بثقة كاملة في حكمة الله وفي محبته.

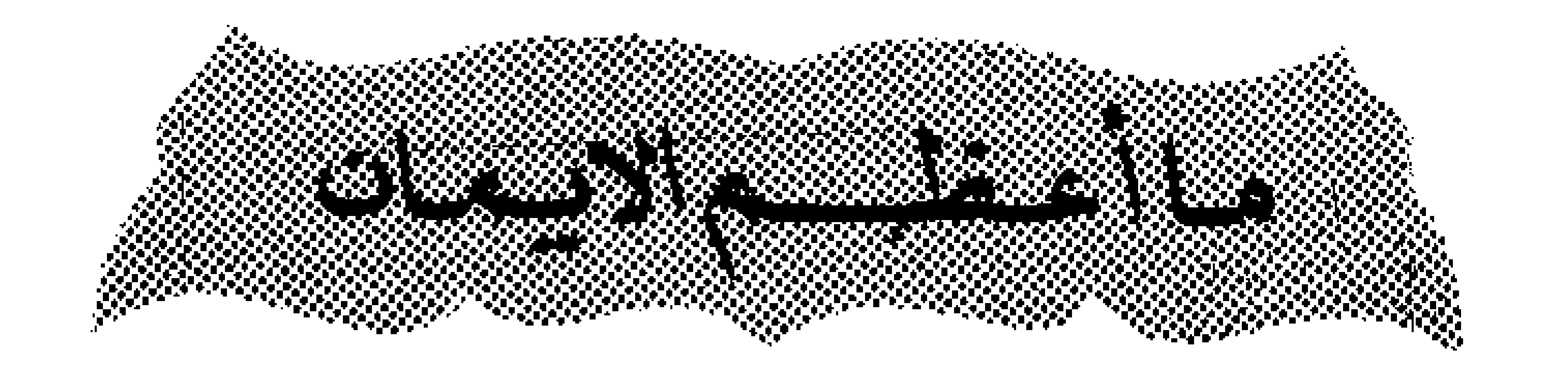
المؤمن ينظر دائماً إلى ما لا يرى ، أكثر مما ينظر إلى المرئيات « لأن الأشياء التي ترى وقتية ، أما التي لا ترى فأبدية » (٢ كو ٤ : ١٨) .

إن أبطال الإيمان ليسوا هم فقط الذين دافعوا عن العقيدة ، وإنما هم الذين عاشوا في الإيمان الحي المثمر العامل بالمحبة...

وهذا الكتاب الذي بين يديك يعطيك فكرة مبسطة عن حياة الإيمان كيف تكون؟ وكيف تختبر عملياً هل أنت في الإيمان.

البابا شنوده الثالث

الفصل الاول



لعل أهمية الإيمان تبدو واضحة فى قول الرسول عن الرب :

« بدون إيمان ، لا يمكن إرضاؤه » (عب ١١ : ٦) .

وتبدو أهمية الإيمان أيضاً ، فى أن الرسول قد وصفه بأنه إحدى الفضائل الثلاث الكبار « الإيمان والرجاء والمحبة » (١كو ١٣ : ١٣) ، وذكر أنه الوسيلة التى يحيا بها الإنسان البار فقال :

« أما البار ، فبالإيمان يحيا » (عب ١٠ : ٣٨) .

والإيمان هو بدء الطريق الموصل إلى الله . لأنه كيف يمكن أن تثبت فى الله ، والله فيك ، وكيف يمكنك أن تسير مع الله وتحفظ وصاياه ، إن لم تؤمن أولاً بوجوده وبصفاته الإلهية ، وتؤمن بكتابه وبكل ما ورد فيه ... ؟

الإيمان إذن هو بدء الطريق إلى الله . وأول الشروط اللازمة للخلاص حسب قول الرب نفسه « من آمن واعتمد خلص » (مر ١٦ : ١٦) ، « لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) ، « الذى يؤمن به لا يدان ، والذى لا يؤمن به قد دين ... » (يو ٣ : ١٨) . وكما وبخ اليهود قائلاً : « إن لم تؤمنوا أنى أنا هو ، تموتون فى خطاياكم » (يو ٨ : ٢٤) .

إن دم المسيح موجود ، قادر أن يخلص كل أحد . ولكنه لا يخلص بدون إيمان . ولهذا قال القديسان بولس وسيلا لحافظ السجن فى فيلبى « آمن بالرب يسوع ، فتخلص أنت وأهل بيتك » (أع ١٦ : ٣١) .

من أجل هذا الإيمان كتبت الأناجيل ، وكرز بها الرسل .

وهكذا يقول القديس يوحنا الإنجيلى فيما كتبه بوحى من الروح القدس « ... أما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع المسيح إبن الله ، ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة بإسمه » (يو ٢٠ : ٣١) .

الإيمان هو بدء الحياة مع الله ، وهو رفيق الطريق طول هذه الحياة ، لذلك **من أهمية الإيمان علاقته بالبر.**

وهكذا يتحدث الرسول عن البر الذى حُسب بالإيمان (عب ١١ : ٧)، وعن الإيمان الذى حُسب براً (يع ٢ : ٢٣).
ويتحدث الكتاب عن التبرير بالإيمان (رو ٥ : ١).

والإيمان هو العنصر الأساسي اللازم لصنع المعجزات ، ولتقبلها :

لهذا ما أعظم قول الرب لأعمى أريحا بارتيماوس : «إيمانك قد شفاك» (لو ١٨ : ٤٢، مر ١٠ : ٥٢). وما أجمل قوله لذلك الأبرص الذى طهر «إيمانك خلصك» (لو ١٧ : ١٩). وهكذا قال أيضاً لنازفة الدم «ثق يا إبنة ! إيمانك قد شفاك» (متى ٩ : ٢٢). كذلك فإنه لما سمع الأعميين اللذين صرخا «إرحمنا يا ابن داود»، قال لهما : «بحسب إيمانكما ليكن لكما» فانفتحت أعينهما (متى ٩ : ٢٩).

ومن الناحية الأخرى ، نرى أن السيد الرب لما جاء إلى وطنه « لم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم إيمانهم» (متى ١٣ : ٥٨).

إن قوة الله قادرة أن تصنع معك الأعاجيب . ولكنها تنتظر إيمانك .

وحسب إيمانك يعطيك. ولهذا فإن المعجزات تحدث مع البعض، ولا تحدث مع البعض الآخر، مع أن قوة الله هى هى.

ولكن ماذا عن الشخص ضعيف الإيمان ؟ هذا عليه أن يصلى مع أبى الولد الذى عليه روح الأخرس قائلاً : «أؤمن يا سيد. فأعن عدم إيمانى» (مر ٩ : ٢٤). وهنا نقول إنه فى غالبية الأحوال يصنع الله المعجزة بحسب الإيمان، ولكن...

فى أحيان أخرى يصنع المعجزة لكى نؤمن .

وهكذا فى الحالين ، يرتبط الإيمان بالمعجزة : فإما أن يكون سابقاً لها ، وإما أن يكون نتيجة لها...

إن الإيمان - أياً كان نوعه - هو قوة .

يكفى أن يؤمن الإنسان بفكرة ، فتراه يعمل بقوة المسيح لكى ينفذها . الإيمان يعطيه عزيمة وإرادة وجرأة ما كانت عنده من قبل .

حقاً حيثما يوجد الإيمان ، توجد معه القوة . فالصلاة المملوءة إيماناً ، هى الصلاة القوية . الذى يؤمن بالصلاة وفاعليتها ، تراه يصلى بحرارة وإيمان وقوة . والعظة التى يقولها إنسان وهو مؤمن بكل كلمة فيها ، تكون عظة قوية ، ينتقل بها إيمانه إلى قلوب الناس .

ومن أهمية الإيمان أيضاً إرتباطه بعديد من الفضائل ، تنبع منه :

فمن نتائج الإيمان القوة ، والطمأنينة ، والشجاعة ، والسلام القلبى ، وعدم الخوف ، وعدم القلق .

ومن ثماره أيضاً : حياة النقاوة والبر، وحياة التسليم الكامل لله ، وحياة التجرد والزهد ، وحياة الصلاة... وفضائل عديدة أخرى

ونحن نعدك أيها القارىء العزيز ، أننا لا ننتهى من هذا الكتاب ، حتى نحدثك عن هذا كله بمشيئة الله .

أما الآن فنريد أن نسأل : ما هو هذا الإيمان ؟

ما هو هذا الإيمان ، الذى من نتائجه الخلاص والتبرير ؟

وما هو هذا الإيمان ، الذى من نتائجه كل هذه الفضائل ؟

وما هو هذا الإيمان ، الذى يقدر على صنع الآيات والعجائب ، والذى قال عنه الرب : **« كل شىء مستطاع للمؤمن » (مر ٩ : ٢٣) .**

الفصل الثانى



الإيقان بأمور لا ترى

«جربوا أنفسكم هل أنتم فى الإيمان ...
إمتحنوا أنفسكم» (٢ كو ١٣ : ٥) .

ما هو الإيمان ؟

كلمة إيمان قد يدعيها كل إنسان يعبد الله ...
وربما لا يكون مؤمناً بالحقيقة ...
قد يكون له إسم المؤمن ، ولكن ليس له قلب المؤمن .

ليس الإيمان هو أن يولد الإنسان من أسرة متدينة تؤمن بوجود الله ، فيصير مؤمناً تلقائياً بوجود الله . إنما الإيمان له معنى أو معانٍ أعمق من هذا بكثير... نعم له معنى قد يشمل الحياة الروحية كلها ، وله معنى قد يصنع الأعاجيب .

فى إحدى المرات لم يستطع تلاميذ الرب أن يخرجوا شيطاناً من إنسان مصروع ، فسألوا الرب عن سر ذلك فقال لهم « لعدم إيمانكم » (متى ١٧ : ٢٠)... ووبخ الجمع قائلاً : « أيها الجيل غير المؤمن ، الملتوى » (متى ١٧ : ١٧) .
ليكن ذلك الجيل غير مؤمن . ولكن رسل المسيح نفسه ، أتطلق عليهم حينذاك عبارة « عدم إيمانكم » ؟... يا للهول . وهنا يستطرد المسيح قائلاً لتلاميذه : « الحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل ، لكنتم تقولون لهذا الجبل : إنتقل من هنا إلى هناك . فينتقل » (متى ١٧ : ٢٠) .

حقاً ، ما هو هذا الإيمان ، الذى حبة خردل منه ، تستطيع أن تنقل الجبل ؟!...

لذلك حسناً قال الرسول : « إختبروا أنفسكم : هل أنتم فى الإيمان ؟ إمتحنوا أنفسكم » (٢ كو ١٣ : ٥) .

على أن الكتاب يروى لنا شيئاً عجيباً... أخطر من هذا بكثير... فما هو؟ إنه حال إنسان يبدو مؤمناً بالرب ، ويصلى ، ويصنع المعجزات ، وهو غير مؤمن بالحقيقة ! بل غير مقبول أمام الله ! هوذا الرب نفسه يقول :
« ليس كل من يقول لى يارب يارب ، يدخل ملكوت السموات ... »
(مق ٧ : ٢١) .

ويتابع الرب كلامه قائلاً : « كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم : يارب يارب ، أليس باسمك تنبأنا ، وباسمك أخرجنا شياطين ، وباسمك صنعنا قوات كثيرة ؟ فحينئذ أصرح لهم إنى لم أعرفكم قط . إذهبوا عنى يا فاعلى الإثم » (متى ٧ : ٢٢ ، ٢٣) .

ماذا نسمى هؤلاء الذين يقولون يارب يارب ... باسمك صنعنا كذا وكذا... ؟ أهم مؤمنون بالحقيقة ؟!

ربما يكون هذا إيماناً ظاهرياً ، أو إيماناً شكلياً ، أو إيماناً بالإسم ، أو مجرد إيمان عقلى ، ولكنه ليس إيماناً حقيقياً مقبولاً أمام الله !

فما هو إذن الإيمان الحقيقى المقبول أمام الله ؟ نسأل الرب فيجيب :

« ليس كل من يقول لى يارب يارب ... بل الذى يفعل إرادة أبى الذى فى السموات (متى ٧ : ٢١) . ويذكرنا هذا أيضاً بقصة العذارى الجاهلات اللائى استعملن أيضاً عبارة يارب يارب . ووقفن وراء الباب المغلق يقلن : ياربنا ياربنا إفتح لنا . فسمعن منه تلك الإجابة الصريحة المرعبة « الحق أقول لكن إنى ما أعرفكن » (متى ٢٥ : ١٢) .

إن عبارة يارب لا تفيد مطلقاً ، إن كنت تنتظر العريس بمصباح لا زيت فيه ، أو إن جئت بعد أن أغلق الباب ...

ما هو الإيمان إذن ؟ وما علاقته بالزيت الذى يرمز إلى الروح القدس ، وإلى المسحة المقدسة ؟ وما علاقته بمشيئة الآب الذى فى السموات ؟

إنه هذا الإيمان الحى ، المقبول من الله ، كما سنشرح بالتفصيل فيما بعد ...

إذن الإيمان ليس مجرد عقيدة ، إنما هو أيضاً حياة .

يمكن أن تختبره بثماره فى حياتك ... فهكذا قال الرب « من ثمارهم تعرفونهم ... كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة... لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثماراً ردية . ولا شجرة ردية أن تصنع أثماراً جيدة . فإذن من ثمارهم تعرفونهم » (متى ٧ : ١٦-٢٠) .

بهذا تختبر نفسك : هل إيمانك له ثمر ؟ لأنه من ثمارهم تعرفونهم .

وهكذا يعلمنا القديس يوحنا الحبيب : « بهذا نعرف أننا قد عرفنا ... » ، كيف ؟ « إن حفظنا وصاياه » ، « من قال قد عرفته ، وهو لا يحفظ وصاياه ، فهو كاذب وليس الحق فيه ... » (١يو ٢ : ٣ ، ٤) ... إذن الإيمان يختبر بحياة الطاعة لوصايا الله . والذى لا تكون له هذه الطاعة لا يعتبر مؤمناً بالحقيقة . بل لا نقول عنه إنه قد عرف الله ...

إن هناك وسائل كثيرة لاختبار الإيمان ، سنحدثك عنها فى باب خاص .

والقديس بولس الرسول يقدم لنا قائمة رائعة لرجال الإيمان فى رسالته إلى العبرانيين (عب ١١) . وكلهم من ذلك النوع الذى ظهر الإيمان فى حياته الخاصة ...

مثل أبينا أخنوخ الذى لم يقل الكتاب عنه إنه دافع عن عقيدة معينة ، كالقديس أثناسيوس الرسولى الذى دافع عن العقيدة ضد الأريوسية ، أو كالقديس كيرلس الكبير الذى دافع عن العقيدة ضد النسطورية ، ومثل باقى أبطال الإيمان فى العقيدة ...

إنما كان أخنوخ من أبطال الإيمان ، لأنه « أرضى الله » (عب ١١ : ٥) .
أو كما قال سفر التكوين « وسار أخنوخ مع الله » (تك ٥ : ٢٢ ، ٢٤) .

وأنت قد لا تكون لاهوتياً عميقاً فى المعرفة مثل القديس أثناسيوس أو القديس كيرلس . ولكنك بلا شك فى إمكانك أن تحيا فى منهج أبينا أخنوخ الذى سار مع الله . وأن تحيا مثل باقى رجال الإيمان الذين ذكرهم القديس بولس الرسول الذين « أقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض ... وكانوا يبتغون وطناً أفضل أى سماوياً » (عب ١١ : ١٣ ، ١٦) .

لقد كان أبونا إبراهيم من رجال الإيمان ، لأنه « لما دعى أطاع » (عب ١١ : ٨) ، فخرج وراء الله « وهو لا يعلم إلى أين يذهب » . وحُسب من رجال الإيمان ، لأنه صدق مواعيد الله حتى وهو يقدم إبنه وحيده ، واثقاً أن الله قادر على الإقامة من الأموات (عب ١١ : ١٧ - ١٩) .

ووضعت زوجته ساره فى قائمة أبطال الإيمان ، لأنها صدقت قول الرب «إذ حسبت الذى وعد صادقاً» (عب ١١ : ١١) .

إذن ليس أبطال الإيمان هم فقط أبطال الدفاع عن العقيدة ، إنما أيضاً

أولئك الذين صدقوا الرب، وأرضوه، وساروا معه، وصنعوا براً (عب ١١ : ٣٣).

وأيضاً أولئك الذين « عذبوا ولم يقبلوا النجاة ، لكى ينالوا قيامة أفضل » ،
وأولئك الذين « طافوا فى جلود غنم وجلود ماعز، معتازين مكروبين مذلين ،
« تائهين فى برارى وجبال ومغائر وشقوق الأرض،
« وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم » (عب ١١: ٣٥-٣٨).

هؤلاء كلهم كانوا مشهوداً لهم بالإيمان (عب ١١ : ٣٩) .

فى كل هذا يعطينا الكتاب معنى واسعاً لكلمة الإيمان .

ومعلمنا القديس بولس الرسول يقول لنا فى معنى الإيمان هذا :
« الإيمان هو الثقة بما يرجى ، والإيقان بأمور لا ترى » (عب ١١ : ١) .

وعبارة أمور لا ترى هى عبارة واسعة جداً ، سندخل فى تفاصيلها بعد حين إن شاء الله . ولكننا نقول كمثال : أنت ترجو أشياء كثيرة بعد الموت . ترجو حياة أخرى دائمة، وعشرة مع الملائكة والقديسين . وترجو رؤية الرب فى الفردوس . وترجو القيامة من الموت بجسد روحانى غير قابل للفساد (١كو ١٥) . وترجو النعيم الأبدى بعد القيامة العامة . وأنت تثق بوجود كل هذه الأمور، ثقة يقينية كاملة لا شك فيها ، دون أن ترى من كل ذلك شيئاً... إنه الإيمان .

الإيمان فوق مستوى الحواس :

وهنا نرى أن الإيمان يرتفع فوق مستوى الحواس :

إنه لا يتعارض مع الحواس ، إنما هو مستوى أعلى من مستوى الحواس . وهو قدرة أعلى من قدرة الحواس التى لها نطاق معين لا تتعداه . فالحواس المادية تدرك الماديات . غير أن هناك أشياء غير مادية ، تخرج عن نطاق قدرة الحواس المادية . وحتى قدرة الحواس بالنسبة للأشياء المادية ، هى محدودة أيضاً . وكثيراً ما تستعين الحواس بعديد من الأجهزة لمعرفة أشياء مادية أدق من أن تدركها حواسنا الضعيفة . فكم بالحرى إذن الأمور غير المادية ، التى قال عنها الرسول إنها « أمور لا ترى » ؟!

إن ما يرى بالعين المادية يدخل فى نطاق (العيان) وليس الإيمان (٢كو ٥ : ٧) . فالروح مثلاً لا ترى ولا تدرك بالحواس المادية . سواء كانت روح بشر أو ملائكة . وعدم إدراك الحواس لها لا يعنى عدم وجودها . إنما يعنى أن قدرة الحواس محدودة . لها نطاق معين تعمل فيه لا يصل إلى مستوى الروح .

والله روح (يو ٤ : ٢٤) . لذلك فإنه لا يدرك بالحواس المادية .

لذلك فإننى عجبت من رائد الفضاء الذى قال إنه صعد إلى السماء ولم ير الله ! وقد ظن فى تهكمه أنه يمكن أن يرى الله بهذه العين الجسدية القاصرة التى لا ترى كثيراً من الماديات ! كما أن الله فى كل مكان ، فى الأرض وفى السماء وما بينهما ، ولا يحده مكان . فإن كان لم ير الله على الأرض ، فلن يراه أيضاً فى السماء ، ولا فى أى موضع آخر ، لأن الله لا يُرى إلا بالإيمان... تراه بالروح (١كو ٢ : ١٠) .

عدم رؤيتك لله بعينك ، لا يعنى أن الله غير موجود . إنما تفسير ذلك هو أن عينك قاصرة . ومهما قويت ، فإن لها نطاقاً محدوداً تعمل فيه ، هو نطاق الماديات . ولذلك قلنا إن الإيمان أعلى من مستوى الحواس .

فى العهد القديم ، كان مستوى الناس ضعيفاً ، فكان تأثير الحواس فى الدرجة الأولى والأهم ، لذلك كان الله يظهر لهم فى السحاب والضباب والنار .

لقد كلمهم من على الجبل وسط البروق والرعود ، والجبل يدخن ، وقد صعد دخانه كدخان الأتون . وارتجف كل الجبل جداً . وكان سحاب ثقيل على الجبل ، وصوت بوق شديد ، فارتعد كل الشعب الذى فى المحلة (خر ١٩ : ١٦- ١٨) . وكان المنظر هكذا مخيفاً حتى قال موسى أنا خائف ومرتعد (عب ١٢ : ٢١) .

بهذا الأسلوب كانوا يفهمون قوة الله وأهمية الوصية المعطاة لهم . أما فى حياة الإيمان ، فإن القلب يفهم قوة الله فى غير حاجة مطلقاً إلى هذا الإعتماد الكبير على الحواس . إن الإيمان مستوى أعلى من الحواس ، لا يعتمد عليها ، ولا يحتاج إليها .

والإيمان مستوى أعلى من العقل :

إن العقل قد يوصلك إلى بداية الطريق . أما الإيمان فيكمل معك الطريق إلى أقصاه. الإيمان لا يتعارض مع العقل. ولكنه يتجاوزه إلى مراحل أبعد بما لا يقاس، لا يستطيع العقل بمفرده أن يصل إليها.

وما لا يدركه العقل ، نسميه « غير المدرك » . ونحن نصف الله بأنه «غير مدرك» . لأنه أيضاً غير محدود. بينما العقل البشرى محدود، ولا يدرك سوى الأمور المحدودة، التى تدخل فى نطاقه. العقل يستطيع أن يوصلك إلى مجرد معرفة الله ، وإلى بعض صفاته. ولكن بالإيمان « الروح يفحص كل شيء، حتى أعماق الله » (١كو ٢ : ١٠). وبالنسبة إلى المؤمن، يكشف الله له ذاته. أو يكشف له ما تحتمل الطبيعة البشرية أن تدركه...

العقل قد لا يدرك أشياء كثيرة ، ولكنه يقبلها .

العقل ليس من طبيعته أن يرفض كل ما لا يدركه . بل حتى فى المحيط المادى فى العالم الذى نعيش فيه، توجد مثلاً مخترعات كثيرة لا يدركها إلا المتخصصون. ومع ذلك فالعقل العادى يقبلها، ويتعامل معها، دون أن يدرك كيف تعمل، وكيف تحدث. والموت يقبله العقل، ويتحدث عنه، ومع ذلك فهو لا يدركه، ولا يعرف كيف يحدث.

فإن كان العقل يقبل أموراً كثيرة فى عالمنا، وهو لا يدركها. فطبيعى لا يوجد ما يمنعه من قبول أمور أخرى أعلى من مستوى هذا العالم.

العقل لا يدرك (المعجزة) كيف تتم . ولكنه يقبلها ويطلبها، ويفرح بها.

لقد سميت المعجزة معجزة ، لأن العقل يعجز عن إدراكها وعن تفسيرها. ولكنه يقبلها بالإيمان... الإيمان بوجود قوة غير محدودة، أعلى من مستواه، يمكنها أن تعمل ما يعجز العقل عن إدراكه. وهذه القوة هى قوة الله القادر على كل شيء.

إننا نحترم العقل . ولكننا فى نفس الوقت ندرك حدود النطاق الذى يعمل فيه. ولا نوافق العقل المغرور الذى يريد أن يعى كل شيء، رافضاً كل ما هو فوق مستوى إدراكه.

ينبغى للعقل أن يتضع ، و يعرف مستواه ، « ولا يرتئى فوق ما ينبغى » (رو ١٢ : ٣) . وفى الأمور التى هى فوق إدراكه ، يجب أن يسلم قياده للإيمان .

أما إن أراد العقل أن يحطم كل ما لا يدركه ، فإنه سيحطم نفسه أخيراً ، و يفقد الإيمان . ويحصر نفسه فى دائرة ضيقة جداً ، هى دائرة إدراكه المحدود .

والذين يسلكون هكذاً ، إعتاد البعض أن يسميهم (العقلانيون) ، لأنهم يعتمدون على العقل وحده ، دون الإيمان ودون الروح !

إن العاقل يمكنه أن يصل إلى الله . أما العقلانى فلا يصل .

والمؤمنون عاقلون ، ويحترمون العقل ، و يستخدمونه أيضاً فى الأمور الدينية واللاهوتية . و يوجد بين المؤمنين فلاسفة وحكماء وأشخاص على مستوى عالٍ من الفكر والذكاء . ولكنهم على الرغم من كل هذا ، لا يمزجون العقل بالغرور ، ولا يثقون بقدرة العقل على إدراك كل شيء . وإنما فى بساطة واتضاع ، يعترفون أن عقولهم محدودة ، وقاصرة عن إدراك كل ما يحيط بالله غير المدرك ... و بالإيمان تقبل قلوبهم وعقولهم ما هو فوق مستوى العقل ...

العقل البسيط المتواضع ، هو الذى يقبل الإيمان ، والمعجزة .

نقصد بعبارة (المتواضع) إنه لا يعتز بإدراكه الخاص . ولا يحطم كل ما هو فوق إدراكه . ونقصد بعبارة (البسيط) ، العقل الذى لا يعقد الأمور ، ولا يصر على إدخال كل شيء فى حدود معامله ومقاييسه الخاصة .

ولعلنا سنعود إلى هذه النقطة ، حينما نتحدث عن (بساطة الإيمان) .

الإيمان ليس هو مجرد تلاوة قانون الإيمان ، إنما هو حياة نحياها .

إن كنت تحيا فى الإيمان ، والإيمان له ثماره فى حياتك العملية ، فإنك تستطيع أن تختبر إيمانك بالفضائل التى تبدو واضحة فى حياة المؤمن ، وهى عديدة ... وهنا تنفذ قول الرسول « إمتحنوا أنفسكم : هل أنتم فى الإيمان ؟ إختبروا أنفسكم » (٢ كو ١٣ : ٥) .

الإيقان بأمور لا ترى

قال الرسول فى معنى الإيمان إنه « الثقة بما يرجى ، والإيقان بأمور لا ترى » (عب ١١ : ١) . ونود أن نعرف تفسير هذه العبارة .

الإيقـــان :

أى التأكد الشديد ، والثقة ، والعقيدة التى لا تعرف شكاً . ليس الأمر مجرد فكر أو رأى ، أو معلومات نتيجة قراءة أو سماع . إنما يقين أكيد بوجود هذه الأمور التى لا ترى .

وهنا يبدو الفرق بين رجال الإيمان ، ورجال البحوث العلمية .

أصحاب البحوث العلمية ، لا تدخل فى نطاق عملهم كل تلك الأمور التى لا ترى . وهم لا يكونون فى حالة يقين من شىء إلا إذا فحصوه تماماً بكل أجهزتهم ومقاييسهم العلمية . وعلى نفس هذا المنهج كل أصحاب المذاهب المادية .

أما المؤمنون فهم ليسوا كذلك . إنهم يتبعون قول الرب « طوبى لمن آمن دون أن يرى » (يو ٢٠ : ٢٩) .

المؤمن يقبل مثلاً فكرة الخلق من العدم . أما الباحث العلمى ، فترفض أبحاثه هذا الأمر، كما ترفض أيضاً أن يشبع من خمس خبزات خمسة آلاف رجل (غير النساء والأطفال) ، وتفيض عنهم إثنتا عشرة قفة مملوءة . أما المؤمن فيقبل كل هذا ...

المؤمن يقبل أولاً فكرة الله القادر على كل شىء . ثم فى دائرة يقينه من جهة هذه القدرة غير المحدودة ، يقبل كل شىء ...

وهكذا يريح نفسه من شكوك غير المؤمن ومن بحوثه وفحوصه الكثيرة . وهو ليس فقط يقبل ما لا يرى ، ويكون موقناً بوجود غير المرئيات ، بل إنه أكثر من هذا يعايش ما لا يرى ، ويركز فيه كل تفكيره وكل عواطفه ، حسبما قال الرسول « غير ناظرين إلى الأمور التى ترى ، بل إلى التى لا ترى ، لأن التى ترى وقتية . أما التى لا ترى فأبدية » (٢كو ٤ : ١٨) .

ولعلك تسأل : كيف ننظر ما لا يرى ؟ فأقول بالإيمان .

ما هى إذن هذه الأمور التى لا ترى ؟ لعل فى مقدمتها الله نفسه ، وصفاته ، وعمله ، وكل ما يتعلق به .

١ ـ الله ، وصفاته ، وعمله :

إن الله لا يُرى ، وقد قال القديس يوحنا الإنجيلى : « الله لم يره أحد قط ... » (يو ١ : ١٨) . حقاً من يستطيع أن يرى اللاهوت ؟! لا أحد . ومع ذلك فأنت تؤمن به من كل قلبك ، وبكل ثقة . ولا يعتمد هذا الإيمان مطلقاً على الحواس . أو قل إنك تراه بتلك الحواس الروحية المدربة (عب ٥ : ١٤) . تلك الحواس غير المادية التى تدربت أن ترى ما لا يرى . ولنا أمثلة على ذلك من الكتاب :

يقول داود النبى « تقدمت فرأيت الرب أمامى فى كل حين ، لأنه عن يمينى فلا أتزعزع » (مز ١٥) . فكيف رأى الرب أمامه وعن يمينه كل حين ؟ لا شك أنه رآه بعين الإيمان . وفى بعض الترجمات يقول « جعلت الرب أمامى كل حين » . أى أنه ناظر إليه باستمرار ، ناظر إلى ما لا يرى ، مركزاً فيه فكره وشعوره .

وبنفس المعنى يقول إيليا النبى « **حى هو رب الجنود الذى أنا واقف أمامه** » (١مل ١٨ : ١٥) . فكيف شعر أنه واقف أمام الرب ؟ وكيف كان يرى الرب أمامه فى كل حين ؟... ليس بالحواس الجسدية طبعاً ، لأن الحواس الجسدية ليست هى التى تحرك قلب المؤمن . بل إن الرب أمامه بالإيمان . وهو بالإيمان يرى ما لا يرى .

إن كنت فى الإيمان ، فلا بد ستثق إن الله أمامك فى كل حين ، وتتصرف وفق هذا الإيمان : إنه يراك ويسمعك ...

وإن عشت فى الإيمان ، فستثق أن الله فى وسط شعبه ، حسب وعده الصادق « ... هناك أكون فى وسطهم » (متى ١٨ : ٢٠) ، « ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر » (متى ٢٨ : ٢٠) . إنك لست تراه بعينك الجسدية ، ولكنك تؤمن تماماً أنه فى وسطنا . لست محتاجاً أن ترى بعينيك لكى تصدق . فأنت تؤمن دون أن ترى . أو ترى ما لا يرى .

ما هي حياتنا الروحية يا إخوتي ؟ إنها ليست سوى انتقال من نطاق المحسوسات والمرئيات إلى نطاق ما لا يرى.

ونحن نعيش في ما لا يرى ، بملء الثقة أنه موجود أمامنا. وهذا هو الفرق بين المؤمن وغير المؤمن.

غير المؤمن يريد أن يرى كل شيء بعينيه ، وإلا فإنه لا يصدق.
أما المؤمن فإنه لا يجعل من عينيه حكماً على كل ما يؤمن به... ولا كل حواسه ، ولا المعلومات الظاهرة. بل إن قلبه يوقن بوجود أمور لا يراها بعينيه... إن اعتماد الإنسان على عينيه لكي يصدق ، أمر وبخ الرب عليه تلميذه توما قائلاً له «لا تكن غير مؤمن بل مؤمناً» «ألأنك رأيتني يا توما آمنت ؟! طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (يو ٢١ : ٢٧ ، ٢٩).

قلنا إنه من ضمن الإيقان بأمور لا ترى ، الإيمان بالله... ولكننا **لا نعني بهذا مجرد الإيمان بوجود الله ، وإنما الإيمان أيضاً بصفاته وبعمله.**

فتؤمن مثلاً بصلاح الله وخيريته . وبأنه لا يصنع إلا خيراً. وتؤمن أنه ضابط الكل ، يرقب كل شيء وكل أحد. وتؤمن أن الله قادر على كل شيء ، وأن «غير المستطاع عند الناس ، مستطاع عند الله» (لو ١٨ : ٢٧). وتؤمن بمحبة الله لك ولغيرك...

كل هذه الصفات ، لا تراها . ولكن تؤمن بوجودها ، وتؤمن برعاية الله للكون ، وحفظه له جملة ، ولكل فرد فيه على حدة... وتؤمن أن الله يعمل ، سواء رأيت عمله أو نتائج عمله ، أو لم تر شيئاً...

٢ - ومن الأشياء التي لا ترى أيضاً مواعيد الله .

وقد حسب من رجال الإيمان أولئك الذين «لم ينالوا المواعيد ، بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيوها ، وأقروا بأنهم نزلاء وغرباء على الأرض» (عب ١١ : ٣). وهؤلاء نظروا المواعيد بالإيمان ، إذ صدقوا ما قيل لهم من قبل الرب...

ومن هذه المواعيد «ما أعده الله للذين يحبونه» وكلها من الأمور التي لا تُرى ، إذ قال عنها الرسول «ما لم تره عين ، ولم تسمع به أذن ، ولم يخطر على قلب بشر» (١ كو ٢ : ٩).

ومن الأمور التي لا ترى ، إنذارات الله .

لقد آمن نوح بكلام الرب أنه سيحدث طوفان ، مع أن كلمة (طوفان) هذه ، كانت جديدة على سمعه وعلى معرفته . ولم يحدث طوفان من قبل فى أيامه ، ولا فى أيام سابقيه . ولكنه آمن بحدوث هذا الشيء الذى لم يره أحد من قبل . وظل سنوات يعمل فى بناء الفلك ، محتملاً استهزاء الناس به وبفلكه وتهكمهم... وكانت سنوات من الإيمان .

ولذلك اعتبر أبونا نوح من رجال الإيمان لأنه صدّق إنذار الله بالطوفان . وبالإيمان رأى هذا الطوفان قائماً قبل أن يكون . ولذلك دخل الفلك هو وبنوه ونساؤهم . وكما قال معلمنا القديس بولس الرسول «بالإيمان نوح ، لما أوحى إليه عن أمور لم تر بعد ، خاف فبنى فلكاً لخلاص بيته...» (عب ١١ : ٧) . بينما معاصروه لم يصدقوا إنذار الله ، ولم يؤمنوا بصدق كلام الله فهلكوا...

ونفس الوضع نقوله عن أبينا لوط وأهل سدوم . هو صدّق إنذار الله قبل أن يحدث . مع أنها كانت المرة الأولى التى تنزل فيها نار من السماء ، كما كانت المرة الأولى التى يحدث فيها طوفان فى أيام نوح .

أما أهل سدوم الذين لم يؤمنوا بإنذار الله فقد هلكوا ، كما هلك الذين لم يؤمنوا بإنذار الله أيام نوح .

وهوذا إنذارات الله الخاصة بالأبدية وبالدينونة قائمة أمامنا ، ومع ذلك فالناس مازالوا فى شرورهم وأخطائهم ، كأن الله لم يقل شيئاً... لا مخافة الله فى قلوبهم ، ولا خشية الأبدية ، ولا حرصاً ، ولا توبة...

تحدثنا عن الله وعن صفاته وعمله ، وعن مواعيده وإنذارته ، ضمن الأمور التى لا ترى . ونضيف على ذلك :

٣ - سكنى الروح وعمله فينا ، من الأمور التى لا ترى :

صموئيل النبى صب من قنينة الدهن على الصبى داود ، فحلّ عليه روح الرب (١صم ١٦ : ١٣) . ولم ير أحد روح الرب وهو يحل عليه . ولكن هكذا كان . إنه من الأمور التى لا ترى

وكان الرسل يضعون أيديهم على الناس، فيحل عليهم الروح القدس (أع ٨: ١٧). وما كان أحد يرى الروح القدس وهو يحل على الناس. ثم أصبح الروح القدس ينال بالمسحة المقدسة (١يو ٢: ٢٠، ٢٧). وعرفت هذه المسحة باسم (الميرون). ولم يكن أحد يرى الروح، إنما ثماره تظهر فى الحياة.

أنت تعرف تماماً أن هناك قوة خفية تعمل فيك وتعمل معك، دون أن تراها، هى التى قال عنها الرب «ولكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم» (أع ١: ٨). هذه القوة، قوة الروح هى التى تعمل فيك كل خير، وتساعدك فى كل خدمة، وتحميك من كل خطية...

هنا ونقول إن حياتنا كلها تصبح شركة مع الروح القدس (٢كو ١٣: ١٤).

ما هذه الشركة؟ وكيف تحدث؟ وكيف نصبح شركاء للطبيعة الإلهية فى العمل؟ إن هذا من الأمور التى لا ترى. لا نراها ولكن نؤمن بها. نؤمن بروح الله العامل فى الكنيسة، الساكن فيها.

هوذا الرسول يقول «أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم» (١كو ٣: ١٦)، «أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم، الذى لكم من الله» (١كو ٦: ١٩).

وسكنى الروح فينا أمر لا نراه. قد نرى ثماره فقط. أما نفس السكنى فلا نراها. والروح لا نراه.

ومن عمل الروح فينا قول الرب لنا عن الوقوف أمام الولاة والملوك «لأنكم تعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به. لأن لستم أنتم المتكلمين، بل روح أبيكم يتكلم فيكم» (متى ١٠: ١٩، ٢٠).

كيف يتكلم روح الله فينا؟ إن هذا من الأمور التى لا ترى.

٤ - وعمل النعمة فينا، من الأمور التى لا ترى:

تأتينا زيارات من النعمة، تشعلنا بمحبة الله. لا نراها ولكن نحسها. ولا شك أن عمل النعمة فينا هو من الأمور التى لا ترى.

يقول القديس يوحنا الإنجيلى « أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا » (يو ١ : ١٧) . فما هى هذه النعمة العاملة فينا ؟ ما هى هذ النعمة التى عاش بها القديس بولس الرسول فقال « ... ولكن بنعمة الله ، أنا ما أنا . ونعمته المعطاة لى لم تكن باطلة » (١ كو ١٥ : ١٠) . و يقول عنا جميعاً « فإن الخطية لن تسودكم ، لأنكم لستم تحت الناموس ، بل تحت النعمة » (رو ٦ : ١٤) . و يقول لتلميذه تيموثاوس الأسقف « فتقو أنت يا إبنى بالنعمة التى فى المسيح يسوع » (٢تى ٢ : ١) .

نحن لا نرى هذ النعمة بعيوننا الجسدية ، فهى من الأمور التى لا ترى . ولكننا نلمسها فى حياتنا . وعمل نعمة الله فينا هو فوق الحواس . ونحن نتقبل هذه النعمة من الله . ونأخذها بركة من الكنيسة التى تردد لنا قول القديس بولس الرسول « نعمة ربنا يسوع المسيح ، ومحبة الله ، وشركة الروح القدس تكون مع جميعكم ، آمين » (٢ كو ١٣ : ١٤) .

إن هذا يجعلنا ننتقل إلى نقطة أخرى هى البركة :

٥ ـ البركة أيضاً هي من الأمور التى لا ترى :

سواء البركة التى من الله نفسه مباشرة ، أو بركة الله التى تأتى عن طريق الوالدين ، أو من الكنيسة من الأب الكاهن . كلها أمور لا ترى .

لقد قال الله لأبينا ابرآم أبى الآباء « أباركك ، وأعظم إسمك . وتكون بركة . وأبارك مباركيك ... وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض » (تك ١٢ : ٢ ، ٣) . لقد رأى ابرآم ثمار هذه البركة فى حياته . ولكن البركة نفسها : ما هى ؟ إنها من الأمور التى لا ترى .

واسحق بارك يعقوب إبنه ، فصار مباركاً . وبكى عيسو لأنه لم يحصل على هذه البركة (تك ٢٧) . و يعقوب بارك افرايم ومنسى قائلاً « الملاك الذى خلصنى من كل شر يبارك الغلامين » (تك ٤٨ : ١٦) . وصار الغلامان مباركين . ولكن افرايم صار أكثر بركة من أخيه ، لأن أبانا يعقوب وضع عليه يده اليمنى (تك ٤٨ : ١٧ - ٢٠) .

ما هى هذه البركة ؟ وكيف سرت من يد إسحق ومن يد يعقوب ؟ وكيف

سرت من أيدى الآباء الرسل؟ وكيف تسرى من أيدى خلفائهم ومن رجال الله جميعاً، كما يروى لنا الكتاب... ؟

إنها كلها أمور لا ترى . ونحن نؤمن بالبركة مع أنها لا ترى ، ونسعى إلى طلبها ونوالها. ونأخذها من أيدى الآباء والأمهات ومن الآباء الكهنة ومن كل رجال الله المباركين. ونعرف تماماً أن ابرآم كان بركة للعالم حسب قول الرب. وأن يوسف الصديق كان بركة فى بيت فوطيفار وبركة فى كل أرض مصر، وأن إيليا النبى كان بركة فى بيت أرملة صرفة صيدا...

نقول هذا كله ، ونحن لا نستطيع وضع معنى محدد للبركة ، فهى أوسع بكثير من الألفاظ المحدودة. وهى أمر لا يرى. نرى ثماره فقط. ولكن البركة نفسها. من يستطيع أن يراها و يشخصها ؟!

كيف سرت البركة من يد السيد المسيح إلى الخمس خبزات والسمكتين ، فصار هذا الطعام البسيط كافياً لعدة آلاف من الناس، وفاض عنهم إثنتا عشرة قفة مملوءة؟ كيف حدث هذا الأمر؟ وما نوعيته ومفعوله بالضبط... كلها أمور لا ترى...

٦ ـ ومن ضمن الإيمان أيضاً بما لا يرى ، الإيمان بوجود الملائكة وعملهم :

نحن نؤمن بوجود الملائكة ، والملائكة أرواح لا ترى . وربما لا نكون قد رأينا ملاكاً فى حياتنا كلها. ومع ذلك نؤمن أنهم حولنا وأن « ملاك الرب حال حول خائفيه و ينجيهم» (مز ٣٤ : ٧) . ونوقن بأن الملائكة تملأ الكنيسة. ونثق أنهم معنا فى كل مواضعنا « أليسوا جميعهم أرواحاً خادمة، مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص» (عب ١ : ١٤) .

كثيرون يفرحون حينما يرون العذراء فى رؤيا ، أو يرون قديسين .

ولكن أعظم من هذا أن تؤمن بأن كل هؤلاء حولك ، دون أن تراهم . ليس من الضرورى أن يرسل لك الله حمامة بيضاء أثناء حضورك إجتماعات المساء فى الكنيسة... إنما أنت تؤمن ـ دون أن ترى ـ أن الكنيسة مملوءة بأرواح الملائكة. وترفرف عليها أرواح القديسين الذين يرسلهم الله لخدمة البشر...

إن جيحزى تلميذ أليشع ، خاف لما رأى الأعداء عيطين بالمكان...

ولكن أليشع ، الرجل المفتوح العينين ، فكان يرى الملائكة يدافعون عن المدينة ضد هؤلاء الأعداء. لذلك طمأن غلامه قائلاً له « لا تخف ، لأن الذين معنا أكثر من الذين علينا... » (٢مل ٦ : ١٦) . وصلى من أجله لكى يفتح الرب عينيه فيرى ، إذ كان جيحزى ليس له الإيقان بأمور لا ترى .

٧ ـ ومن الإيقان بما لا يرى أيضاً : الإيمان بالروح ، والعالم الآخر:

نحن لا نرى الروح . ولكننا نوقن بوجودها . وحينما يموت إنسان ، نقول إن روحه فارقت جسده. ونحن لم نر هذه الروح تفارق الجسد.

كذلك الإيمان أيضاً يشمل مصير هذه الروح ، فى الفردوس أو الجحيم . و يشمل أيضاً عودة هذه الروح إلى الجسد بالقيامة. ومصير هذا الإنسان القائم من الأموات فى الأبدية بعد الدينونة العامة...

وكل هذه الأمور : الروح ـ القيامة ـ الأبدية ـ الدينونة (الحساب) ـ الفردوس ـ النعيم ـ الجحيم... كلها أمور لا ترى. لذلك فالإيقان بوجودها جميعاً يدخل فى نطاق الإيمان. حقاً إن العالم الآخر بكل ما فيه ، لا يتحدث عنه أحد إلا بالإيمان. والذى يؤمن بالحياة بعد الموت ، إنما يوقن بأمور لا ترى .

٨ ـ لقد آمن الناس بمجىء المسيا ، دون أن يروه :

حتى المرأة السامرية ، قالت للرب « أنا أعلم أن المسيا ـ الذى يقال له المسيح ـ يأتى . فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شىء » (يو ٤ : ٢٥) .

وهكذا كان الجميع موقنين بمجىء المسيا ، حسب وعد الرب . وكانوا ينتظرونه بكل شوق. و يعرفون ما قاله اشعياء النبى « ها العذراء تحبل وتلد ابناً ، وتدعو إسمه عمانوئيل » (اش ٧ : ١٤) . وما كانوا قد رأوا من قبل عذراء تلد ، ومع ذلك آمنوا بهذا الأمر فيما بعد ...

و يشبه الإيمان الذى كان به أهل العهد القديم ينتظرون مجىء المسيا ، هكذا

نحن فى العهد الجديد ننتظر مجيء الرب ثانية، على السحاب، حسب وعد الرب (متى ٢٤، ٢٥)، وحسب بشرى الملاكين للتلاميذ (أع ١ : ١١).

لم نر الرب من قبل على سحاب السماء مع ربوات قديسيه، فى مجد أبيه، ومعه ملائكته القديسون. ولكننا نؤمن بمجيئه فى هذا المنظر الذى لم نره من قبل. لأن الإيمان هو الإيقان بأمور لا ترى.

٩ ـ الفداء أيضاً هو من الأمور التى لا ترى :

فى الفداء، من محبة المسيح لنا، حمل جميع خطايانا ومات عنها «كلنا كغنم ضللنا. ملنا كل واحد إلى طريقه. والرب وضع عليه إثم جميعنا» (اش ٥٣ : ٦). وهكذا قال عنه القديس يوحنا المعمدان «هذا هو حمل الله الذى يرفع خطية العالم» (يو ١ : ٢٩). وقال القديس يوحنا الرسول «وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً» (١يو ٢ : ٢). وقال القديس بولس الرسول «مسامحاً لكم بجميع الخطايا، إذ محا الصك الذى علينا» (كو ٢ : ١٣، ١٤). وقال أيضاً «عاملاً الصلح بدم صليبه» (كو ١ : ٢٠).

ونحن نرى الصليب فقط، وقد يراه البعض عاراً !! أما ما فى الصليب من حب، ومن فداء وكفارة، ومن مغفرة ومحو للصك المكتوب، وحمل خطايا العالم، وأيضاً ما فى الصليب من عمل المصالحة... فكل هذه أمور لا ترى. نراها نحن بالإيمان...

بطرس الرسول ـ قبل الإيمان بكل هذا ـ ما كان يرى فى الصليب سوى الضياع والعار...! لذلك قال «حاشاك يارب» (متى ١٦ : ٢٢). فانتهره الرب، إذ لم يكن يرى الأمور التى لا ترى...

إن الصليب كان يمثل عمق إحسانات الرب إلينا. ولكن الكتبة والفريسيين لم يروا هذا، لأن عيونهم ما كانت تبصر. لأنهم «لو عرفوا لما صلبوا رب المجد» (١كو ٢ : ٨).

إن هذا يقودنا إلى نقطة أخرى وهى :

١٠ - إحسانات الله الخفية ، هى من الأمور التى لا ترى :

إننا نشكر الله فقط على إحساناته التى نراها أو التى نعرفها . ولكن هناك إحسانات أخرى لا ترى ينبغى أن نشكره عليها أيضاً . ولذلك عندما ندخل بالإيمان فى حياة التسليم ، ندخل تلقائياً فى حياة الشكر الدائم . كما قال الرسول « شاكرين فى كل حين ، على كل شىء » (أف ٥ : ٢٠) .

وفى هذا الشكر الدائم ، نشكر على التجارب أيضاً ...

لأننا نشعر أنه توجد فيها إحسانات خفية من الله ، نحن لا نبصرها . وإن أبصرناها ، لا بد أن نغنى مع القديس يعقوب الرسول قائلين « إحسبوه كل فرح يا إخوتى ، حينما تقعون فى تجارب متنوعة » (يع ١ : ٢) .

وبهذا نرى الإيمان يعطى معنى روحياً للألم ، الألم الذى يسمح الله به من أجل بركات معينة كامنة فيه ، هى من الأمور التى لا ترى ، ولكننا نتقبلها بالإيمان ، واثقين من محبة الله الصانع الخيرات ، وواثقين من قول الكتاب « كل الأشياء تعمل معاً للخير ، للذين يحبون الله » (رو ٨ : ٢٨) .

١١ - وجود الله فى حياتنا ، وقوته العاملة فينا ، من الأمور التى لا ترى :

ما أجمل قول الرب لأبينا يعقوب « وها أنا معك . وأحفظك حيثما تذهب . وأردك إلى هذه الأرض » (تك ٢٨ : ١٥)... كان الرب معه يحفظه حيثما يذهب... ولم يكن يرى الرب وهو معه . ولكن من المريح للنفس أن يشعر الإنسان بهذا ، ويوقن به ، فيحيا فى اطمئنان دائم وفى فرح...

ولم يكن هذا الأمر ميزة لأبينا يعقوب فقط ، بل أن الرب يقول « ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر » (متى ٢٨ : ٢٠) .

إن شعورنا بوجود الله معنا ، يشعرنا بقوة إلهية ترافقنا وتحفظنا .

هذه القوة هى العاملة فيك ومعك منذ أن تدخل فى شركة الروح القدس ، فيشترك الروح القدس معك فى العمل . وهكذا فى الكنيسة الأولى كنا نرى أن ملكوت الله قد أتى بقوة (مر ٩ : ١) ، « وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة

بقيامة الرب يسوع ، ونعمة عظيمة كانت على جميعهم » (أع ٤ : ٢٣). قيل عن القديس اسطفانوس أول الشمامسة إنه كان « مملوءاً إيماناً وقوة » (أع ٦ : ٨)، وإنه وقف ضد عدة مجامع « ولم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذى كان يتكلم به » (أع ٦ : ١٠). هذه هى القوة فى الإيمان. أما الذى يؤمن، ولكنه يخاف من إعلان إيمانه، فهو إنسان ضعيف الإيمان، لا يؤمن بقوة الله العامل معه.

المرأة نازفة الدم ، كانت تشعر أنها لو لمست ولو هدب ثوب المسيح ، ستخرج قوة من المسيح تشفيها. وقد كان (متى ٢٠ : ٢١ ، لو ٨ : ٤٦).

وأنت إن آمنت بقوة الرب ، والتصقت به ، ستنالها .

ليكن لك هذا الإيمان وهذا الشعور ، فى كل تفاصيل حياتك : فى خدمتك وفى صلاتك، وفى عملك. كما قال القديس أنطونيوس عن أبا مقار الكبير « إن قوة عظيمة تخرج من هاتين اليدين ».

حتى فى حالة سقوطك : آمن أن هناك قوة ستخلصك .

إن كنت أنت أضعف من الشياطين ، آمن أن الله الذى يحبك هو أقوى منهم ، وهو قادر أن يخلصك من الخطية، وفى قوة إيمان تضرع إلى الله أن يمنحك القوة التى تنتصر بها فى حياتك الروحية، واطلب إليه أنه هو « يقودك فى موكب نصرته » (٢ كو ٢ : ١٤).

حتى إن طالت بك المدة ، آمن أن قوة الرب ستصلك ولو فى الهزيع الأخير، لكى تنقذك. قوة الرب هذه غير مرئية ، ولكنها موجودة ، ومستعدة أن تعمل مع كل الذين يطلبونها مؤمنين.

عليك أن تبصر هذه القوة تصحبك ، ليس فى حياة التوبة فقط ، إنما فى كل نواحى حياتك الروحية... حتى إن تكلمت ، يشعر الناس بقوة الكلمة ومفعولها...

إن المؤمن هو إنسان قوى ، يؤمن بقوة الله العاملة فيه .

هوذا القديس بولس الرسول يقول « أتعب أيضاً مجاهداً ، بحسب عمله الذى يعمل فىّ بقوة » (كو ١ : ٢٩). و يقول أيضاً عن الله « القادر أن يفعل فوق كل شىء ، أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر، بحسب القوة التى تعمل فينا » (أف ٣ : ٢٠).

وبفضل هذا الإيمان بقوة الله العاملة ، التى قد لا نراها ولكن نؤمن بها ، عاش القديس بولس فى ملء الثقة ، وأمكنه أن يقول :

« أستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى » (فى ٤ : ١٣)

عبارة كلها قوة ، وكلها إيمان ، وكلها ثقة بعمل الله . ونحن نسأل : هل هذه العبارة هى من شأن قديس عظيم فقط مثل بولس الرسول ؟ فيجيبنا الرب نفسه « كل شىء مستطاع للمؤمن » (مر ٩ : ٢٣) .

لعل هذه القوة هى اختبار لحياتنا الروحية : هل نحن فى الإيمان ؟
إنها قوة نسعد بها فى حياتنا ، ونحيا مطمئنين .

فى حياتنا أيضاً داخل الكنيسة ، نسعد بأمور كثيرة لا ترى ...

١٢ - من الأمور التى لا ترى ، ما يحدث فى المعمودية :

يقول القديس بولس الرسول « لأن جميعكم الذين اعتمدتم للمسيح ، قد لبستم المسيح » (غل ٣ : ٢٧) . حقاً ما أعجب هذا السر ! من رآه ؟! إنه من الأمور التى لا ترى . وقال حنانيا الدمشقى لشاول الطرسوسى « أيها الأخ شاول... لماذا تتوانى ؟ قم اعتمد واغسل خطاياك » (أع ٢٢ : ١٦) . من رأى هذه الخطايا وهى تغسل ؟ إنها أمور لا ترى ، نقبلها بالإيمان ، كما قال الرسول « بمقتضى رحمته خلصنا ، بغسل الميلاد الثانى » (تى ٣ : ٥) . هذا الخلاص الذى نلناه فى غسل الميلاد الثانى ، أمر لم نره ، ولكننا نؤمن به حسب قول الرب « من آمن واعتمد ، خلص » (مر ١٦ : ١٦) .

ثم ما معنى هذا الميلاد الثانى ؟ وما معنى الولادة من فوق ، والولادة من الله . والولادة من الماء والروح ؟ كل هذه التى تحدث عنها الرب بنفسه (يو ٣ : ٣ - ٦) . كلها أمور لا ترى فعملية الولادة من الله سر لا يرى . نحن نرى الإنسان يغطس فى جرن المعمودية . ولكننا لا نرى كيف يولد من الروح . وطوبى لمن آمن دون أن يرى . لذلك حسن أن الكنيسة أطلقت على هذا الأمر إسم (سر) .

أتريد أن تدخل العقل هنا ؟ العقل قاصر عن أن يدخل .

يقول الرسول « مدفونين معه بالمعمودية ، التى فيها أقمتم أيضاً معه... مسامحاً لكم بجميع خطاياكم » (كو ٢ : ١٢) . ويقول نفس المعنى فى الرسالة إلى رومية ، ويضيف بأن إنساننا العتيق قد صلب معه ، وأننا نسلك فى جدة الحياة (رو ٦ : ٣ - ٦) . فمن رأى هذا الموت وهذا الدفن ، والقيامة ، والمسامحة بالخطايا ، والحياة الجديدة ، وصلب الإنسان العتيق... إنها كلها أمور لا ترى . ولكن نؤمن بها...

١٣ - سر الأفخارستيا أيضاً ، هو من الأمور التى لا ترى :

فيه ترى بالإيمان أن الخبز والخمر اللذين أمامك قد صارا جسد الرب ودمه (بعد صلاة التقديس) . هنا لا تجعل حواسك تحكم ، لأن الحواس الجسدية لا تبصر سوى الأمور التى ترى . أما الحواس الروحية فتستمع إلى قول المسيح « هذا هو جسدى... هذا هو دمى » (متى ٢٦ : ٢٦ ، ٢٨) ، « من يأكل جسدى ويشرب دمى ، فله حياة أبدية... لأن جسدى مأكل حق ، ودمى مشرب حق . من يأكل جسدى ويشرب دمى ، يثبت فىّ وأنا فيه » (يو ٦ : ٥٣ - ٥٦) .

أنا لا أجادل الرب فيما يقوله ، إنما أتقبله فى إيمان .

فهذا هو الإيمان « الإيقان بأمور لا ترى » . أما التى تُرى فهى الخبز والخمر . وهكذا يقول القديس بولس الرسول « كأس البركة التى نباركها ، أليست هى شركة دم المسيح . الخبز الذى نكسره ، أليس هو شركة جسد المسيح » (١ كو ١٠ : ١٦) . ويقول أيضاً « إذن أى من أكل هذا الخبز ، أو شرب كأس الرب ، بدون استحقاق ، يكون مجرماً فى جسد الرب ودمه... يأكل ويشرب دينونة لنفسه ، غير مميز جسد الرب » (١ كو ١١ : ٢٧ ، ٢٩) .

وكيف نميز أن هذا جسد الرب ، حتى لا ننال دينونة ؟

هنا نرتفع فوق مستوى الحواس ، وفوق مستوى العقل ، بالإيمان .

عقولنا هى التى تتعبنا حينما نتقبل أسرار الكنيسة . وحواسنا تتعبنا أيضاً . ونحتاج إلى بساطة الإيمان . نصدق ما قاله المسيح . ونصدق ما قاله رسوله القديس بولس الرسول ولا نجادل .

١٤ ـ وبالإيمان بما لا يرى نتقبل ما فى المسيحية من أسرار :

نتقبل (وضع اليد) الذى ناله برنابا وشاول من الرسل ، لكى يفرزا للخدمة (أع ١٣ : ٢ ، ٣). ووضع اليد الذى ناله تيموثاوس من بولس الرسول (٢تى ١ : ٦). ونوقن أن فى ذلك سراً .

ونتقبل السلطان الذى أعطاه الرب بقوله «إقبلوا الروح القدس ، من غفرتم خطاياه تغفر له . ومن أمسكتم خطاياه أمسكت» (يو ٢٠ : ١٣) ، «كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السماء وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً فى السماء» (متى ١٨ : ١٨) .

هذا السلطان غير مرئى ، ولكنه سر نراه بالإيمان . إنه ليس لكل أحد ، ولا يأخذه أحد من نفسه بل المدعو من الله كما هرون (عب ٥ : ٤) .

وهكذا فى باقى الأسرار التى لا نراها ، ولكن نؤمن بها ...

إن رؤية ما لا يرى ، هى الرؤية الروحية الحقيقية :

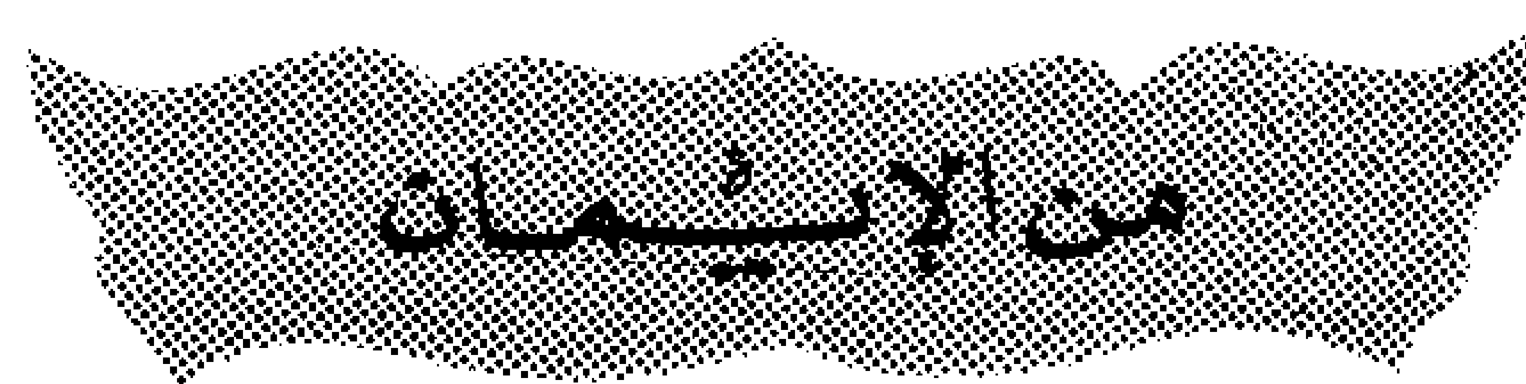
لعلها هى التى عناها رب المجد بقوله لتلاميذه القديسين «أما أنتم **فطوبى لعيونكم لأنها تبصر**» (متى ١٣ : ١٦) . تبصر ماذا ؟ تبصر المسيح وعجائبه . وأيضاً تبصر ما لا يرى ، مثلما أبصر القديس يوحنا رؤياه العجيبة . ومثلما أبصر القديس بولس السماء الثالثة وكثرة من الإستعلانات (٢كو ١٢ : ٢ ، ٧) ، أمور «لا ينطق بها ، ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم عنها» (٢كو ٢ : ١٢) .

أما أولئك الذين لم تكن لهم هذه الحاسية الروحية ، فقد وبخهم الرب بقوله «أغمضوا عيونهم لئلا يبصروا» (متى ١٣ : ١٥) . وكرر رسوله عنهم نفس التعبير (أع ٢٨ : ٢٧) . وعبارة أغمضوها قد تعنى أنهم لم يدربوا نفوسهم على رؤية الروحيات . أو أنهم رفضوا أن يروا الروحيات من فرط انشغالهم بالماديات .

كان جيحزى لا يبصر ما يبصره معلمه أليشع (٢مل ٦ : ١٧) . وأيضاً مثلما كان مرافقو شاول الطرسوسى فى وقت الرؤيا الإلهية ، وقد قال عنهم الكتاب « وقفوا صامتين ، يسمعون الصوت ، ولا ينظرون أحداً» (أع ٩ : ٧) .

الفصل الثالث

درجات وانواع



« كما قسم الله لكل واحد
نصيباً من الإيمان » .

(رو ١٢ : ٣) .

درجـــات من الإيمـــان :

يختلف الناس فى نوعية إيمانهم ودرجته حسبما «قسَّم الله لكل واحد نصيباً من الإيمان» (رو ١٢ : ٣).

وقد يبالغ البعض ، وإذ يجد إنسان ناقصاً فى إيمانه ، يقول عنه إنه غير مؤمن على الإطلاق. وهذا الحكم ضد تعليم الكتاب المقدس كما سنرى. والبعض قد يخلط بين كلمة (المؤمنين) وكلمة (المختارين)، كما لو كانتا تدلان على معنى واحد.

فلنتأمل إذن أنواع الإيمان ودرجاته :

١ - هناك نوع « **حديث الإيمان** » وهذا قد أمر الرسول بعدم سيامته فى درجة الأسقفية « لئلا يتصلف» (١تى ٣ : ٦).

٢ - وهناك نوع « **قليل الإيمان** » أو « **ضعيف الإيمان** » .
وسنضرب أمثلة من الإنجيل لهذا النوع :

أ - الذين يشكون فى عناية الرب بهم فى المأكل أو الملبس . هؤلاء ضرب الرب لهم مثلاً بزنابق الحقل التى ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها . ثم وبخهم قائلاً «فإن كان عشب الحقل الذى يوجد اليوم و يطرح غداً فى التنور، يلبسه الله هكذا، أفليس بالحرى يلبسكم أنتم يا قليلى الإيمان؟!» (متى ٦ : ٢٨-٣٠، لو ١٢ : ٢٨).

ب - كذلك وبخ التلاميذ لما فكروا أنهم لم يأخذوا معهم خبزاً، فانتهرهم قائلاً «يا قليلى الإيمان» (متى ١٦ : ٨).

ج - ووبخ الرب القديس بطرس لما خاف بعدما مشى معه على الماء فبدأ يغرق. حينئذ أمسكه الرب قائلاً له «يا قليل الإيمان، لماذا شككت؟» (متى ١٤ : ٣١).

د - وبالمثل وبخ التلاميذ لما خافوا حينما غطت الأمواج السفينة أثناء نومه فيها. حينئذ قال لهم «ما بالكم خائفين يا قليلى الإيمان» (متى ٨ : ٢٦).

إذن الخوف ، والشك فى معونة الله دليلان على قلة الإيمان .

هـ - وقد ضرب الرسول مثلاً فى ضعف الإيمان بالأخ الذى يعثر من أكل ما ذبح للأوثان . وأمر بأن ضعيف الإيمان لا يجوز إدانته ولا الإزدراء به ، وقال « هو لمولاه : يثبت أو يسقط . ولكنه سيثبت لأن الله قادر أن يثبته » (رو ١٤ : ١-٤) .

هنا و يعجبنى والد الطفل المصروع ، لما سأله الرب « أتؤمن ؟ » لكى يشفيه . حينئذ أجاب « **أؤمن يارب. أعن عـــدم إيمانى** » (مر ٩ : ٢٤) .

إن الإيمان الضعيف يحتاج إلى من يصلى لأجله ، لكى يعينه الرب . ولا يجب مطلقاً أن نزدر يه . فالله قادر أن يثبته .

٣ - هناك نوع ثالث : هو الإيمان المحدود :

ونقصد به الذى يؤمن بالرب فى حدود معينة ، ولا يصل إيمانه إلى ما هو أبعد منه ... مثال ذلك مريم ومرثا ، اللتان كانتا تؤمنان أن الرب يقدر أن يشفى أخاهما من المرض فلا يموت . أما إن مات ، فقد كانت إقامته من الأموات أمراً لم يكن إيمانها قد وصل إليه .

لذلك كل منها قالت للرب « لو كنت ههنا ، لم يمت أخى » (يو ١١ : ٢١ ، ٣٢) . ولما قال الرب لمرثا « سيقوم أخوك » أجابته « أنا أعلم أنه سيقوم فى القيامة فى اليوم الأخير » (يو ١١ : ٢٤) . ولما ذهب الرب إلى القبر وقال « إرفعوا الحجر » ، قالت مرثا « يا سيد قد أنتن ، لأن له أربعة أيام » (يو ١١ : ٢٤) .

إن الله لم يرفض هذا الإيمان المحدود ، إنما أعطاه فرصة لينمو.

لذلك قال لمرثا « من آمن بى ، ولو مات فسيحيا » . و وبخها عند القبر قائلاً « ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله » (يو ١١ : ٢٠ ، ٤٠) . وأعطاها فرصة أن ترى مجد الله فى إقامة أخيها لعازر، لتؤمن ، وليؤمن أيضاً اليهود الذين شهدوا المعجزة .

وهنا كان الإيمان لاحقاً للمعجزة ، وليس سابقاً لها .

وربما كان ذلك لأن تلك المعجزة كانت الأولى من نوعها ، أى إقامة ميت بعد

أربعة أيام من موته، بعد أن أنتن.

٤ - نوع رابع، من الإيمان الضعيف، **هو البطيء القلب فى الإيمان**. وربما يكون عن بطء فى الفهم، أو عن عدم إدراك، فلا يأتى إيمانه سريعاً. وكان هذا هو نوعية إيمان تلميذى عمواس من جهة قيامة الرب. ولذلك وبخها قائلاً «أيها الغبيان والبطيئا القلوب فى الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء. أما كان ينبغى أن المسيح يتألم...» (لو ٢٤: ٢٥، ٢٦). ثم بدأ يشرح لهما الأمور المختصة به فى جميع الكتب... لكى يؤمنا، أو لكى يعالج **هذا البطء فى إيمانها، الناتج عن عدم فهم أو عدم معرفة**.

وفى هذا المثال أيضاً نقول: إن علاج الأخطاء الخاصة بالإيمان، هو الوضع السليم. وهذا أفضل من الإزدراء أو التحقير الذى لا يأتى بنتيجة ولا يوصل إلى الإيمان السليم.

٥ - وهناك حالة خطيرة هى الإيمان الميت:

فقد قال القديس يعقوب الرسول «الإيمان بدون أعمال ميت» (يع ٢: ٢٠، ١٧). وقال إن مثل هذا الإيمان لا يقدر أن يخلص صاحبه (يع ٢: ١٤). ورأى أن الإيمان الحى ينبغى أن تكون له أعمال تدل عليه، فقال «أنا أريك بأعمالى إيمانى» (يع ٢: ١٨).

٦ - هناك أيضاً إيمان غير ثابت:

مثال ذلك أن السيد المسيح (قبيل القبض عليه) قال لتلميذه بطرس «هوذا الشيطان طلبكم لكى يغربلكم كالحنطة. ولكنى طلبت من أجلك، لكى لا يفنى إيمانك» (لو ٢٢: ٢١، ٢٢).

فى ذلك الوقت إهتز إيمان بطرس، لكنه عاد بعدئذ إلى قوته الأولى.

٧ - وهناك حالات وصفها الكتاب بأنها **خروج عن الإيمان السليم**. ومنها:

أ - قال القديس بولس الرسول «إن كان أحد لا يعتنى بخاصته، ولاسيما أهل بيته، فقد أنكر الإيمان، وهو شر من غير المؤمن» (١تى ٥: ٨).

ب ـ وقال عن الأرامل الحدثات اللاتى يرجعن فى نذرهن نتبتولية « أرفضهن ، لأنهن متى بطرن على المسيح ، يردن أن يتزوجن . ولهن دينونة ، لأنهن رفضن الإيمان الأول » (١تى ٥ : ١٢) .

ج ـ وقال كذلك « محبة المال أصل لكل الشرور . الذى إذا ابتغاه قوم ، ضلوا عن الإيمان ، وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة » (١تى ٦ : ١٠) .

د ـ وقال « إحفظ الوديعة ، معرضاً عن الكلام الباطل الدنس ... الذى إذ تظاهر به قوم ، زاغوا من جهة الإيمان » (١تى ٦ : ٢١) .

هل بعد هذه الأمثلة نستطيع أن ننكر علاقة الإيمان بالأعمال ؟!

لأنه هنا بعمل خاطىء يقال إن إنساناً أنكر الإيمان ، أو رفض الإيمان ، أو ضل أو زاغ عن الإيمان ... لعلنا بأمثال هذه المقاييس نمتحن أنفسنا ، عملاً بقول الرسول « إختبروا أنفسكم : هل أنتم فى الإيمان » (٢ كو ١٣ : ٥) .

٨ ـ أخطر حالة هى « **الإرتداد عن الإيمان** » :

يقول الرسول « فى الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان تابعين أرواحاً مضلة » (١تى ٤ : ١) . وعبارة الإرتداد عن الإيمان ، تعنى أنهم كانوا فى الإيمان ثم ارتدوا

و يتحدث الرسول عن الإرتداد العظيم الذى يسبق مجىء المسيح فيقول إنه « لا يأتى إن لم يأتِ الإرتداد أولاً » (٢تس ٢ : ٣) .

هذا من الجهة العامة ، أما عن الناحية الفردية فيقول « أما البار فبالإيمان يحيا . وإن ارتد لا تسرّ به نفسى » (عب ١٠ : ٣٨) . وهنا يتكلم عن ارتداد إنسان مؤمن بار كان بالإيمان يحيا .

مادام المؤمن يمكن أن يرتد ، إذن المؤمنون هم غير المختارين . فالمختارون يبقون على إيمانهم كل حياتهم ، حتى ملاقاة الرب ...

كل ما ذكرناه فى الأنواع السابقة ، هو عن السلبيات فى الإيمان . نتابع كلامنا إذن عن الإيجابيات الإيمانية .

٩ - النمو فى الإيمان :

يقول القديس بولس الرسول لأهل تسالونيكى « نشكر الله كل حين من جهتكم أيها الأخوة... لأن إيمانكم ينمو كثيراً» (٢تس ١ : ٣). وقال عن أهل كورنثوس إنهم يزدادون فى الإيمان (٢كو ٨ : ٧).

إذن الإيمان فضيلة كسائر الفضائل ، يمكن أن ينمو فيها الإنسان...

١٠ - حفظ الإيمان والثبات فيه :

يقول الرسول عن نفسه فى أواخر حياته ، ووقت انحلاله قد حضر «... أكملت السعى ، حفظت الإيمان. وأخيراً وضع لى إكليل البر» (٢تى ٤ : ٧، ٨).

ويقول لأهل كولوسى « ... ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه ، إن ثبتم على الإيمان...» (كو ١ : ٢٣).

وأقوى من الثبات فى الإيمان ، تعبير آخر هو :

١١ - الرسوخ فى الإيمان :

يقول القديس بطرس الرسول عن محاربات إبليس « ... فقاوموه راسخين فى الإيمان» (١بط ٥ : ٩).

وهناك درجة أخرى من الإيمان هى :

١٢ - الغنى فى الإيمان :

يقول القديس يعقوب الرسول « أما اختار الله فقراء العالم أغنياء فى الإيمان ، وورثة الملكوت الذى وعد به الذين يحبونه» (يع ٢ : ٥).

وهناك درجة أزيد من الغنى فى الإيمان وهى :

١٣ - الإمتلاء من الإيمان :

قيل عن القديس اسطفانوس أول الشمامسة « فاختاروا اسطفانوس رجلاً مملوءاً من الإيمان والروح القدس» ، «وأما اسطفانوس فإذ كان مملوءاً إيماناً وقوة ، كان يصنع عجائب وآيات عظيمة...» (أع ٦ : ٥، ٨).

كل هذه الصفات تقال عن حالة لازمة للإيمان هى :

١٤ ـ الإيمان العامل بالمحبة :

يقول القديس بولس الرسول « فى المسيح يسوع ، لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة ، بل الإيمان العامل بالمحبة » (غل ٥ : ٦) .

ولعله ذكر عبارة الإيمان العامل ، لأن الإيمان بدون أعمال ميت (يع ٢ : ٢٠) . أما عبارة المحبة ، فلأنه بها يتعلق الناموس كله والأنبياء (متى ٢٢ : ٤٠) .

وهناك نوع عظيم من الإيمان هو :

١٥ ـ الإيمان الذى يصنع العجائب :

تحدث السيد الرب عن « آيات تتبع المؤمنين » (مر ١٦ : ١٧) . وقال القديس يعقوب الرسول « صلاة الإيمان تشفى المريض » (يع ٥ : ١٥) .

ولكن لعل قمة هذا الأمر تبدو فى قول الرب « كل شيء مستطاع للمؤمن » (مر ٩ : ٢٢) .

ولعل هناك نوعاً آخر ، ليس لصانع الأعجوبة ، إنما للذى يتقبلها وهو:

١٦ ـ إيمان الثقة والتصديق :

وهو الذى كان يتطلبه الرب ممن تحدث معه المعجزة . وأحياناً يسأله « أتؤمن ؟ » . وكما قال للأعميين اللذين طلبا منه الشفاء « أتؤمنان أنى أقدر أن أفعل هذا ؟ » (متى ٩ : ٢٨) .

وقد طوّب الرب هذا النوع من الإيمان ، مثلما قال للمرأة الكنعانية « عظيم هو إيمانك » (متى ١٥ : ٢٨) . ومثلما قال عن قائد المائة « لم أجد ولا فى اسرائيل إيماناً بمقدار هذا » (متى ٨ : ١٠) .

١٧ ـ كل الإيمان :

يقول القديس بولس الرسول « إن كان لى كل الإيمان حتى أنقل الجبال ... » فاعتبر أن هذا الإيمان الذى ينقل الجبال ، هو كل الإيمان ، أى قمته ، ولا شيء بعده .

أنواع من الإيمان :

هناك فرق كبير بين نوعين من الإيمان : إيمان نظرى ، وإيمان عملى .

١ - الإيمان النظرى (العقلى) :

هو إيمان فكرى ، فلسفى . مجرد الإقتناع العقلى بوجود الله ، وبوجود الأمور التى لا ترى دون أن يكون لذلك أى تأثير على الحياة . وهناك نص يثبت أن الشياطين لهم هذا النوع من الإيمان . إذ يقول القديس يعقوب الرسول عن الإيمان الميت ، الخالى من الأعمال :

« أنت تؤمن أن الله واحد . حسناً تفعل . والشياطين يؤمنون ويقشعرون » (يع ٢ : ١٩) . وسفر أيوب يعطينا دليلاً عملياً على هذه النقطة . لأن حديث الشيطان مع الله تبارك إسمه يثبت هذا الإيمان النظرى ، إذ يقول الشيطان للرب « هل مجاناً يتقى أيوب الله ؟ أليس أنك سيجت حوله ... **باركت** أعمال يديه . ولكن **إبسط الآن يدك** ومس كل ماله ، فإنه فى وجهك **يجدف عليك** » (أى ١ : ٩ - ١١) . ولما أخذ إذناً من الله للتصرف ، ذهب ليعمل ضد أيوب . وفى المرة الثانية قال أيضاً للرب « ... ولكن الآن إبسط يدك **ومس عظمه ولحمه** ، فإنه فى وجهك **يجدف عليك** » (أى ٢ : ٥) .

وهذا الكلام كله يثبت أن الشيطان يؤمن عقلياً بأن هذا هو الله ، وأنه هو الذى بارك أعمال أيوب ، وهو القادر أن يمس ماله ، وأن يمس لحمه وعظمه . وأن أى عبارة تصدر من أيوب ضد الله تعتبر تجديفاً على الله ...

ومع كل هذا ، كان الشيطان يحارب ملكوت الله وأولاده ، ولا يزال .

إيمان الشيطان العقلى الذى تحدث عنه معلمنا يعقوب ، هو أيضاً إيمان ميت ، حسب قول الرسول نفسه « إيمان بدون أعمال ميت » (يع ٢ : ٢٠) . فإن كان الإيمان الخالى من الأعمال الصالحة إيماناً ميتاً ، فكم بالأكثر المشحون بالأعمال الردية ومقاومة كل صلاح أياً كان ...

إن الإيمان العقلى سهل . ما أسهل إثبات وجود الله بالأدلة العقلية وبالبراهين

العديدة . المهم هو الإيمان العملى .

هذا يقودنا إلى النوع الهام من الإيمان ، وهو :

٢ - الإيمان العملى :

هو الإيمان الذى تظهر علاماته فى الحياة العملية ، حياة إنسان يؤمن أن الله كائن أمامه ، يراه ويحسه ، و يتصرف بما يليق بهذا الإيمان . وهو يحب هذا الإله الذى يؤمن بوجوده و بعنايته ورعايته وحفظه ، و يكلم هذا الإله المحبوب فى صلواته وتضرعاته ، ويخشى أن يفعل شيئاً يجرح قلبه المحب... وفى اطمئنانه لعمله لا يخاف ولا يضطرب ، بل يحيا فى سلام دائم ، مسلماً حياته كلها لتدبيره الحكيم...

وهكذا يقوده الإيمان إلى عديد من الفضائل لا تحصى .

وهذا النوع من الإيمان سيكون موضوع كتابنا هذا بمشيئة الرب ، حيث سنشرح كيف يقود الإيمان حياتنا كلها لتصبح حياة الإيمان .

وهذا المفهوم ينقلنا إلى صفة أخرى من صفات الإيمان السليم وهى :

٣ - إيمـــان دائم :

ونعنى به أنه لا يكون إله مناسبات . فلا يظهر إيماننا فقط حينما نكون فى الكنيسة أو فى اجتماع روحى ، أو حينما نصلى ، أو نقرأ الكتاب ، أو نتقدم للتناول . وإنما يظهر هذا الإيمان فى كل وقت ، وكل مكان ، فى خارج الكنيسة كما فى داخلها . الله أمامنا باستمرار ، وفى فكرنا باستمرار ، بإيمان لا يتغير . إنه ليس فقط إله الكنائس وإله الكتاب ، إنما هو إله القلب والفكر جميعاً ، وإله الحياة كلها .

٤ - إيمان دون أن يرى :

إيمان لا يعتمد على الحواس ، و ينطبق عليه قول الرب «طوبى للذين آمنوا دون أن يروا» (يو ٢٠ : ٢٩) . ليس مثل العلماء الذين لا يؤمنون بشيء ، إلا إذا أحضروه فى معاملهم ، وتيقنوا منه بأبصارهم وأجهزتهم . وليس مثل الصدوقيين الذين أنكروا وجود الملائكة والقيامة والأرواح (أع ٢٣ : ٨) ، لأنهم لا يرون شيئاً من ذلك كله...

٥ - إيمان الثقة والإختبار :

إنه ليس الإيمان بالله الذى نقرأ عنه فى كتب اللاهوت ، أو فى المعاهد الدينية ، أو فى الكنائس وفى فصول التعليم الدينى على أنواعها . وإنما إيمان بالله الذى اختبرناه فى حياتنا ، وعاشرناه ، وأدخلناه فى كل تفاصيل حياتنا ، واختبرنا عملياً قول داود النبى « ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب » (مز ٣٤ : ٨)... ووجدنا أن الله عجيب عجيب ، إلى أبعد الحدود ، فوق ما يتصور العقل... حياتنا كلها مجرد عشرة معه ، ذقنا فيها حلاوته وحبه ورعايته ، ورأينا أيضاً قوته وجلاله . وجربنا كيف يدخل فى مشاكلنا ويحلها ، بطرق ما كانت تخطر على عقولنا .

ونتيجة للإختبار ، صارت لنا ثقة ، غير مبنية على الكتب ، وإنما على ما لمسناه بأيدينا... لذلك إيماننا إيمان حقيق راسخ فى قلوبنا .

٦ - إيمـان قـوى :

وهو الإيمان الذى يستطيع كل شىء (مر ٩ : ٢٣) . ويمكنه أن ينتصر على كل عقبة . ولا يرى أمامه شيئاً مستحيلاً . بل كما قيل عن زربابل « من أنت أيها الجبل العظيم ؟! أمام زربابل تصير سهلاً » (زك ٤ : ٧) .

إنه الإيمان الذى يستطيع أن يضع قدمه فى الماء ، لكى يعبر البحر الأحمر فى أيام موسى النبى (خر ١٤ : ٢٢) ، وأن يعبر نهر الأردن فى أيام يشوع (يش ٣) . ويستطيع أن يمشى فى داخل الغمر العظيم ، والمياه تحيط به مثل سور ، عن يمين وعن شمال ، دون أن يخاف...

إنه الإيمان الذى يستطيع أن يضرب الصخرة فيتفجر منها الماء (خر ١٧ : ٦) . وهو الإيمان الذى يسير فى الصحراء بلا زاد وبلا مرشد ، يجمع طعامه من المن النازل من السماء يوماً بيوم (خر ١٦ : ٢١) . وترشده السحابة نهاراً ، وعمود النار ليلاً (عد ٩ : ١٥-٢٣) .

إنه الإيمان القوى الذى استطاع أن ينقل الجبل المقطم على يد سمعان الدباغ ، أيام البابا ابرآم بن زرعه .

وهو الإيمان القوى الذى استطاع به إيليا النبي أن يقول «لا يكون طلّ ولا مطر فى هذه السنين إلا عند قولى» (١مل ١٧ : ١). وهكذا «لم تمطر على الأرض ثلاث سنين وستة أشهر. ثم صلى فأعطت السماء مطراً» (يع ٥: ١٧، ١٨). وهكذا استطاع أن يغلق السماء و يفتحها.

ما أكثر الأمثلة عن هذا الإيمان القوى . ولكن هناك أمثلة أخرى عن هذا الإيمان القوى، تبدو فى مظهر آخر هو:

٧ ـ إيمان لا يتزعزع :

إنه إيمان ثابت ، لا يتأثر مطلقاً بالعوامل الخارجية : فهو يؤمن بمحبة الله سواء كان على جبل التجلى أو على جبل الجلجثة.

يؤمن بمحبة الله الذى يعطيه من سارة نسلاً فى ظروف تدعو إلى اليأس، تماماً تماماً كما يؤمن بمحبة الله وهو يقول له: خذ إبنك وحيدك الذى تحبه إسحق، وأصعده هناك محرقة على الجبل الذى أريك إياه (تك ٢٢ : ٢).

إن إبراهيم وهو يرفع بيده السكين على إبنه اسحق ، ما كان يشك مطلقاً فى محبة الله، ولا فى صدق مواعيده...

لم يتزعزع إيمانه مطلقاً فى هذا الإله ، ولا فى أنه سيكون له من اسحق نسلاً مثل نجوم السماء ورمل البحر فى الكثرة...

إن الإيمان الثابت لا يتغير بالظروف الخارجية المحيطة به ، لأن ثقته ثابتة فى الله، وسلامه القلبى لا يستمده من الظروف الخارجية، إنما من الله نفسه ومحبته وصدق مواعيده.

٨ ـ الإيمان كموهبة :

هناك إيمان عادى ، وإيمان يعتبر موهبة من الروح القدس . ولا شك أن هذا له درجة عالية تفوق الإيمان العادى بكثير...

يقول القديس بولس الرسول فى حديثه عن المواهب « فأنواع مواهب موجودة، ولكن الروح واحد... ولكنه لكل واحد يعطى إظهار الروح للمنفعة. فإنه لواحد

يعطى بالروح كلام حكمة... ولآخر إيمان بالروح الواحد. ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد...» (١كو ١٢: ٤-٩).

وهكذا أيضاً وضع الإيمان ضمن ثمار الروح (غل ٥ : ٢٢) .

و يبدو هنا أننا لا نستطيع أن نفصل الإيمان عن عمل الروح القدس: إما من ثمار الروح ، وإما من مواهب الروح . ولكلٍ منها درجته...

٩ ـ الإيمان السليم :

ما أكثر ما يؤمن الناس بأفكار ، أو مذاهب ، سياسية أو اجتماعية ، و يعطيهم إيمانهم بها قوة على التنفيذ ، وعلى نقلها إلى عقول الناس...

ولكننا نود فى هذه الصفحات أن نتحدث عن الإيمان السليم ، الذى يكون له طابع روحى وصلة وطيدة بالله «الإيمان العديم الرياء» (١تى ٢: ٥) ، «الإيمان المسلّم مرة للقديسين» (يه ٣)... هذا الإيمان الطاهر النقى فكراً وسلوكاً . وهذا يجعلنا نقول :

إن الإيمان ، ليس هو مجرد عقيدة ، إنما هو حياة ... أو هو حياة مؤسسة على عقيدة . أو هو عقيدة إختبارية عاشها الناس ، وليست مجرد أفكار فى الكتب .

وما نريد أن نتحدث عنه فى هذا الكتاب هو هذه الحياة ، حياة الإيمان...

الفصل الرابع

علاقة الإيمان بالسلام وعدم الخوف

من صفات المؤمن ، أن يكون قلبه مملوءاً بالسلام والهدوء . لا يضطرب مطلقاً ، ولا يقلق ، ولا يخاف ، لأنه يؤمن بحماية الله له... وهو يحتفظ بسلامه الداخلى ، مهما كانت الظروف الخارجية تبدو مزعجة .

يخاف الشخص الذى يشعر أنه واقف وحده . أما الذى يؤمن أن الله معه فلا يخاف ...

١ - هوذا داود النبي يقول « إن يحاربنى جيش ، فلن يخاف قلبى . وإن قام علىّ قتال ، فى هذا أنا مطمئن » (مز ٢٧ : ٣) . وإن سألته عن السبب فى هذا ، يجيب فى نفس المزمور « الرب نورى وخلاصى ، ممن أخاف ؟! الرب حصن حياتى ، ممن أرتعب » (مز ٢٧ : ١) . لقد اختبر الرب ومعونته وحمايته ، فقال عندما اقترب إلىّ الأشرار ليأكلوا لحمى ، مضايقى وأعدائى عثروا وسقطوا » (مز ٢٧ : ٢) .

إنه لا يستمد سلامه من تحسن الظروف الخارجية من حوله ، إنما يستمد سلامه من عمل الله فيها ومعه .

لذلك فهو يقول فى مزمور الراعى « إن سرت فى وادى ظل الموت ، لا أخاف شراً » لماذا ؟ « لأنك أنت معى » (مز ٢٣ : ٤) .

إن كان لك هذا الإيمان ، أن الله معك ، فلن تخاف ، مهما حاربك جيش ، أو قام عليك قتال ، حتى إن سرت فى وادى ظل الموت .

٢ - ولعل هذا السلام وعدم الخوف ، نراهما فى مقابلة إيليا النبي لآخاب :

كان آخاب الملك يفتش عن إيليا النبي فى كل مكان لكى يقتله . ومع ذلك فإن إيليا ذهب ليتراءى لآخاب . ولما حذره عوبديا من الخطر ، أجاب إيليا « حى هو رب الجنود الذى أنا واقف أمامه ، إنى اليوم أتراءى له » (١مل ١٧ : ١٤ ، ١٥) . وقد كان . قابل إيليا آخاب الملك ، ولم يخف منه . بل وبخه على عبادته للأصنام (١مل ١٧ : ١٨) . إيليا لم يكن يخاف ، لإيمانه أنه واقف أمام رب الجنود .

٣ ـ وبالمثل كان داود فى لقائه مع جليات الجبار .

داود ـ الصبى الصغير ـ كان بالإيمان مملوءاً بالسلام لا يخاف جليات ، بل يتكلم بثقة... و يقول لشاول الملك «لا يسقط قلب أحد بسببه» (١صم ١٧ : ٣٢) . أما الملك وكل جيشه فكانوا خائفين ، ومرتاعين جداً . لأنهم لم يكونوا ناظرين إلى الله الذى لا يرى ، مثلما كان ينظر داود... بل كانوا مركزين أبصارهم فى هذا الذى يرونه أمامهم « الرجل الصاعد » الذى «طوله ست أذرع وشبر ، وقناة رمحه كنول النساجين ، ووزن درعه خمسة آلاف شاقل نحاس» (١صم ١٧ : ٤-٧) .

داود رجل الإيمان ، لما دخل إلى ميدان المعركة أدخل الله معه ، وأدخل روح الإيمان والإطمئنان إلى قلوب رجال الحرب بقوله «من هو هذا الأغلف حتى يعير صفوف الله الحى... لا يسقط قلب أحد بسببه» (١صم ١٧ : ٢٦ ، ٣٢) . وقال لذلك الجبار «أنت تأتى إلىّ بسيف ورمح. وأنا آتى إليك باسم رب الجنود» (١صم ١٧ : ٤٥) . أعنى : أنت تأتى إلىّ بالأمور التى ترى ، وأنا آتى إليك بالذى لا يرى .

وسنلاحظ أن إسم الله لم يفارق لسان داود . وكان يمنحه سلاماً

وبهذا الإيمان ، وهذا السلام القلبى ، وبهذه الثقة تقدم داود إلى ذلك الجبار المرعب ، وقال له فى يقين الإيمان «اليوم يحبسك الرب فى يدى... فتعلم كل الأرض أنه يوجد إله... لأن الحرب للرب» (١صم ١٧ : ٤٦ ، ٤٧) .

حقاً إن الرجل المؤمن لا يعرف الخوف ، مهما كانت الظروف مخيفة من حوله... سلامه القلبى لا يفارقه مطلقاً... بل يمنحه الإيمان أيضاً شجاعة و بسالة .

٤ ـ فى وسط الضيقة ، أياً كانت ، نرى الإيمان يعطى سلاماً .

ضيقة تحل بإثنين : أحدهما مؤمن والآخر غير مؤمن . فيضطرب غير المؤمن ويخاف و يقلق ، و يتصور أسوأ النتائج ، وتزعجه الأفكار... أما المؤمن فيلاقيها بكل اطمئنان ، و بسلام قلبى عجيب . وقد يسأله البعض عن شعوره إزاء الضيقة فيقول « هذه المشكلة ، سيتدخل الله فيها ويحلها ، وستؤول إلى الخير» . وقد تسأله كيف سيتدخل الله ؟ وكيف سيحلها ؟ فيجيبك : أنا لا أعرف . ولا يهمنى هذا . إنما أعرف أننا لا نهتم بمشاكلنا ، فالله هو المهتم بالكل...

حقاً إنى لا أعرف كيف ستحل المشكلة . ولكنى أعرف الله الذى سيحلها .

وهكذا يقوده الإيمان إلى الاطمئنان . وهكذا أولاد الله يعيشون دائماً فى سلام ، بل وفى فرح ، شاعرين أن الله معهم ، هو الذى يتولى كل أمورهم ، ويعمل من أجلهم ما لا يستطيعون عمله لأجل أنفسهم...

٥ - إن يونان - حتى وهو فى بطن الحوت - لم يفقد إيمانه وسلامه .

بل إنه صلى إلى الرب وهو فى بطن الحوت ، صلاة كلها إيمان ، وقال فى ثقة « ولكننى أعود أنظر هيكل قدسك » (يون ٢ : ٤) . ونذر للرب نذراً وقال : « أما أنا فبصوت الحمد أذبح لك . وأوفى بما نذرته . للرب الخلاص » (يون ٢ : ٩) .

حتى وهو فى بطن الحوت ، كان يرى خلاص الرب . وكان يرى أنه سيخرج منه ، ويرى الهيكل المقدس ، ويذبح للرب ويوفى نذوره .

إنه الإيمان مصدر كل سلام وراحة . لا خوف فيه ولا قلق .

٦ - فإذا قلّ الإيمان ، حينئذ يخاف الإنسان .

بطرس فى إيمانه استطاع أن يمشى مع الرب فوق الماء ، ناسياً كل قوانين الجاذبية . فلما تذكرها وخاف حينئذ سقط ، فوبخه الرب قائلاً « يا قليل الإيمان لماذا شككت » (متى ١٤ : ٣١) .

وهكذا ربط الرب بين الخوف والشك وقلة الإيمان . وحقاً إنه ترابط عجيب :

الشك يضعف الإيمان . وضعف الإيمان يؤدى إلى الخوف . والخوف يسبب السقوط .

وبنفس الوضع نتحدث عن التلاميذ لما هاجت عليهم الأمواج فى السفينة . رؤيتهم الأمواج تغطى السفينة ، بينما الرب نائم فيها ، جعلتهم يشكون فى اهتمام الرب بهم . والشك أضعف إيمانهم ، فخافوا . لذلك وبخهم الرب قائلاً « ما بالكم خائفين يا قليلى الإيمان » (متى ٨ : ٢٦) .

فى كل مرة تخاف ، وبخ نفسك على قلة إيمانك .

قل لنفسك أين هو إيمانى بأن الله موجود ، وبأنه ضابط الكل يرى كل شىء ؟

وأين إيمانى بمحبة الله ، وبتدخله فى مشاكلى ، وبقدرته على كل شىء ، وأين إيمانى بأن الله صانع الخيرات ، وبأنه لا بد سيصنع معى خيراً ؟!

هذه الأفكار كلها تقوى إيمانك ، وتمنحك سلاماً ، وثقة بعمل الله .

الإيمان مريح للنفس . لأن الذى يؤمن بوجود الله ، لا يشعر بالوحدة . بل يثق أن هناك قوة إلى جواره

إنه يؤمن بوجود هذه القوة القادرة على كل شىء ، التى تسانده ، والتى كلها حب وعدل . وهى تعمل لخير الجميع ، وتتراءف على كل من هو فى ضيقة ... وإذ يطمئن إلى هذه القوة الإلهية الحافظة ، يمتلىء قلبه سلاماً ، ولا يقلق ولا يخاف ... أما غير المؤمن ، فإذ لا يثق بقوة خفية تسنده ، نراه يتعب ، ويقف وحيداً فى ضيقاته فاقداً للسلام ...

٧ ـ القديس بطرس كان فى السجن ، وقد نام نوماً ثقيلاً .

مع أن هيرودس الملك ، لكى يرضى اليهود ، كان قد قتل القديس يعقوب بن زبدى أحد الإثنى عشر ، وأمر بالقبض على القديس بطرس وألقاه فى السجن « مسلماً إياه إلى أربعة أرابع من العسكر ليحرسوه » . وكان مزمعاً قتله بعد الفصح (أع ١٢ : ١-٤) .

وعلى الرغم من السجن ، ومن الحراسة المشددة ، ومن توقع القتل ... نام بطرس فى السجن ، واثقاً من وجود حراسة إلهية تحرسه ، أكثر من حراسة العسكر عليه . وكان نوماً ثقيلاً ، لدرجة أن الملاك الذى أتى لينقذه ، ضربه فى جنبه ليوقظه (أع ١٢ : ٧) ...

أى سلام قلبى هذا ، الذى يجعل إنساناً فى مثل هذه الظروف ينام ، وهو فى السجن ، وفى نفس الليلة التى كان فيها هيرودس الملك مزمعاً أن يقدمه للقتل ... !

إنه الإيمان بحفظ الله ، إن أراد له حياة على الأرض ...
أو الإيمان بالأبدية السعيدة ، إن شاء الله له أن يستشهد .

وفى كلتى الحالتين ، الأمر يدعو إلى الفرح . لذلك كان السلام يملأ قلبه . وكان ينام فى هدوء . وما كانت الأمور الخارجية تزعجه ...

ولعله كان هناك سبب آخر لهذا السلام ، وهو أنه « كان بطرس محروساً فى

السجن. وأما الكنيسة فكانت تصير منها صلاة بلجاجة إلى الله من أجله» (أع ١٢ : ٥).

الإنسان المؤمن هو الذى يستطيع أن ينام فى حضن الله ويستريح.

إنه يسلم حياته وكل مشاكله للرب. ويقول للرب: ما دمت أنت قد استلمت هذه الموضوعات، فأنا سوف لا أشغل نفسى بها. إنها قد انتهت بالنسبة إلىّ، وانتقلت إلى يديك أنت، وأنا واثق أنك ستصنع كل خير. أما أنا فطمئن إلى عملك، وسأنام وأستريح. لذلك حسناً قيل فى المزمور إنه «يعطى أحباءه نوماً» (مز ١٢٧ : ٢).

٨ - دانيال النبي والثلاثة فتية، مثال للإيمان المملوء بالسلام.

دانيال كان ينتظر أن يلقى فى جب الأسود، ومع ذلك لم يفقد سلامه، ولم يفقد أيضاً شجاعته. واحتفظ بإيمانه، وصلى إلى الله إلهه بكل مجاهرة، وبلا خوف.

فى جب الأسود، كان قلب دانيال أقوى من قلوب جميع الأسود التى معه... وكأنه يقول: وماذا إن ألقوننى فى جب الأسود؟ أليس الرب هناك أيضاً. أوليس هناك ملاكه يسد أفواه الأسود...

وكذلك الثلاثة فتية ما خافوا من أتون النار.

لا شك أن الإيمان يخلق فى القلب كل شجاعة وجرأة، وينزع منه كل خوف.

٩ - وهكذا كان القديسون فى طريقهم إلى الإستشهاد.

كانوا يغنون أغانى الفرح، ويسبحون الله، وهم فى طريقهم إلى الموت. وما كان الموت يزعجهم، ولا العذاب. كان إيمانهم بالحياة الأخرى، وبالأبدية السعيدة، وبعشرة الرب فى الفردوس، كل ذلك كان يملأهم سلاماً بل وفرحاً، بل أيضاً اشتياقاً إلى الموت، مغنين مع بولس الرسول «لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح. فذاك أفضل جداً» (فى ١ : ٢٣).

إن الموت لا يخيف المؤمن، بل يفرحه...

١٠ - فى كل ضيقة وصعوبة وعقبة، المؤمن لا يخاف، ولا يفقد سلامه.

المؤمن ينتصر على العقبات، دون أن يخاف منها. يشعر أن الله سيحل

الصعوبات التى تصادفه، ولا يتركه وحده فيها .

أما غير المؤمن فربما الصعوبات تصيبه بالتردد والخوف . وبعدم إيمانه يجبن . بل عدم الإيمان قد يصور له صعاباً ومخاوف غير موجودة، كأن «الأسد فى الطريق. الشبل فى الشوارع» (أم ٢٦ : ١٣).

أما المؤمن فلا يخاف مطلقاً مهما صادفته المصاعب والمتاعب . إنه يلاقيها كلها فى هدوء وفى اطمئنان واثقاً بعمل الله معه .

١١ - بهذا الإيمان والاطمئنان ، وقف القديس أثناسيوس يحارب الأريوسية .

بكل ما كان للأريوسية من صلة بالإمبراطور ، وتأثير عليه وعلى حاشيته . بل بكل ما كان لها أيضاً من تضليل للشعب ، وضغط على الأساقفة وإقناع لبعضهم ، وإثارة جو عام من الشك . حتى قيل لهذا البابا المؤمن :

[العالم كله ضدك يا أثناسيوس] فأجاب [وأنا أيضاً ضد العالم]

وهكذا لم ترهبه قرارات النفى من الأباطرة ، ولا قرارات الحرم من بعض الأساقفة، ولا الشكوك المنتشرة فى كل مكان، ولا الإتهامات الباطلة التى يلصقونها به . وإنما ظل يطوف من بلد إلى بلد، بكل ثقة، يعلم ويقنع، ويزيل الشكوك، ويثبت الناس فى الإيمان، ويكتب الردود والمقالات، ويدحض براهين الأريوسيين... إلى أن انتصر أخيراً، وانتصر الإيمان على يديه. وقال القديس چيروم :

[مر وقت ، كاد فيه العالم كله أن يصبح أريوسياً ، لولا أثناسيوس]

هذا هو الإيمان الذى لا يعرف خوفاً ولا اضطراباً، ولا تهزه الأحداث، بل يحتفظ بسلامه وسط النيران المتقدة إلى أن يطفئها الله...

إن إيمان القديس أثناسيوس بالعقيدة التى كان يدافع عنها ، منحه قوة جبارة، وقف بها ضد جميع المقاومات . وكل قوة أثناسيوس، إنما تكمن فى إيمانه، الإيمان الذى يستطيع أن يصنع الأعاجيب .

١٢ - بالإيمان بشر أناس بالمسيح فى بلاد تأكل لحوم البشر ولم يخافوا .

ودخلوا فى مجاهل أفريقيا ، وفى الغابات ، وفى مناطق خطرة حتى من جهة

طبيعتها ومناخها وطبائع أهلها. ولم يخافوا. إيمانهم بالله الحافظ لهم، أعطاهم قوة وشجاعة. وكذلك إيمانهم بخيرية وأهمية العمل الذى يقومون به، أهمية أن يوصلوا كلمة الله للنفوس التى هناك حتى لا تهلك فى عدم إيمان. كل هذا أعطاهم قوة، ونزع الخوف من قلوبهم، فتمموا عملهم، ولم تثنهم عنه الغربة، ولا قسوة المناخ، ولا وحشية الناس، ولا خطورة الطبيعة...

١٣ - بالإيمان أخذ أبونا نوح معه الوحوش فى الفلك ولم يخف.

مادام الله قد قال له خذها معك اثنين اثنين، إذن فسيأخذها. والله الذى أصدر الأمر سيحفظه منها. وستكون معه كما كانت مع آدم فى الفردوس، يعيش معها بلا خوف، وبكل سلام فى القلب... وقد كان.

أبونا نوح كان مؤمناً بكلمة الله له، لذلك لم يخف.

١٤ - بل إن كل من آمن بفكرة، يعطيه الإيمان بها قوة لتنفيذها.

وهكذا كان المصلحون فى كل زمان ومكان. آمنوا بفكرة، فجاهدوا بكل قوة لتنفيذها. وبسبب إيمانهم احتملوا الكثير من الضيق، حتى أكملوا عملهم.

غاندى مثلاً آمن بحق الإنسان فى الحرية، وآمن بسياسة عدم العنف. وأعطاه هذا الإيمان قوة عجيبة إستطاع بها أن يحرر الهند، وأن يعطى الحقوق للمنبوذين متساوين مع إخوتهم. واستطاع أن يحتمل الكثير لكى لا يسلك أتباعه بعنف، ولا يلاقون العنف بالعنف. إيمانه بالفكرة أعطاه القوة على تنفيذها، فكم بالأكثر بما لا يقاس: الإيمان بالله.

١٥ - بل حق الإيمان بالعلم يصنع الأعاجيب. مثال ذلك رواد الفضاء.

وأقصد كمثال إيمانهم بما قيل لهم عن منطقة إنعدام الوزن. وكيف أن الإنسان فيها يمكن أن يمشى فى الجو دون أن يسقط. من من الناس يجرؤ أن يمشى فى الجو دون أن يخاف. أما الذى جعلهم ينفذون ذلك فهو إيمانهم الأكيد ببحوث العلماء الذين قالوا بهذا. والإيمان يعطى قوة وشجاعة. فكم بالأكثر الإيمان بالله.

إن الفرق بين أشجع الناس وأخوف الناس، هو الإيمان.

إن الشخص الجرىء هو الذى لديه إيمان، بأنه لن يحدث له ضرر ما، أو هو

المؤمن بلزوم عمله وضرورته مهما حدث له، أو هو المؤمن بصفة الشجاعة وعدم الخوف. أما الجبان فهو على عكس هذا كله.

١٦ - أيضاً الإيمان بالأبدية، يعطى الإنسان راحة وسلاماً.

إذ يوقن أنه لا بد سينال حقه، إن لم يكن على الأرض، ففى السماء. ولا يكن مظلوماً هنا وهناك. كذلك سينال سعادته كاملة: مالم يتحقق منها هنا، سيتحقق بكل تأكيد فى النعيم الأبدى. وهكذا يعيش مرتاحاً، ولو كان مثل لعازر المسكين.

١٧ - الإيمان بقوة الصليب وعلامة الصليب، يمنع الخوف.

الذى يؤمن بالصليب وقوة الصليب وعلامة الصليب، كثيراً ما يشعر باطمئنان إذ يحتمى وراء هذا الصليب.

فإن تعرض لخوف أو خطر، ورشم ذاته بعلامة الصليب، يمتلىء قلبه سلاماً، ويحس أن قوة تحميه، وتمنع عنه الخوف، ويحس أن قلبه دخلته قوة لم تكن فيه من قبل. وصارت له علامة الصليب سلاحاً.

وهناك إنسان آخر له إيمان كبير بفاعلية المزامير.

يتلوها فى أى وقت، أو فى وقت الحاجة، فيشعر أن المزمور فيه قوة خاصة، تطمئن قلبه وتمنحه سلاماً. فإن كان خائفاً مثلاً، وتلا مزمور ٩١ (الساكن فى ستر العلى)، أو ٢٣ (الرب يرعانى)، أو ٢٧ (الرب نورى وخلاصى)... للوقت يشعر بسلام داخله، وبأن قوة المزمور قد حلت عليه.

نحن نعرف أن المزامير قد قيلت بالروح (متى ٢٢: ٤٣، ٤٤). وأنها كجزء من الكتاب، قالها داود مسوقاً بالروح القدس (٢بط ١: ٢١). لذلك لها قوة بلا شك.

آخرون لهم إيمان فى أرواح القديسين وعملها لأجلهم.

لذلك يشعرون بسلام، حينما يطلبون صلاة ومعونة قديس يحبونه و يثقون بدالته عند الله.

أذكر بهذه المناسبة راهباً أثيوبياً متوحداً، كان يعيش فى مغارة فى وادى

النطرون. فى إحدى المرات ضلّ طريقه بالليل، إذ كان يشكو وقتذاك من ضعف فى بصره. وأقبل عليه الليل والظلام. فرسم دائرة واسعة على أرض الصحراء، وحوّطها بعلامة الصليب من كل ناحية، ونام داخلها. وفى الصباح رأى آثار الدبيب والحيوانات خارج الدائرة، ولم تستطع أن تدخلها لتؤذيه.

أتذكر منذ زمن طويل، أننى كنت مسافراً فى سفينة، وقد هاجت الأمواج جداً عليها، وخاف الركاب. ونظرت فرأيت من بين الركاب معنا إنساناً طيباً جداً كنت أثق كثيراً بقداسته. فاطمأن قلبى. وقلت فى داخلى «من المحال أن يسمح الله بغرق السفينة، وفى داخلها هذا الإنسان الطيب الذى يحب الله». ونجت السفينه فعلاً، ولم يحدث لها أى ضرر.

لقد كان مجرد وجود هذا الإنسان الطيب سبباً فى السلام وتقوية الإيمان. وربما كان هذا شعور ركاب آخرين...

إن القصص الإختبارية فى هذا المجال، لا تدخل تحت حصر. وكلها تقوى الإيمان. ولكنى لست أرى الآن مجالها...

نكتفى بهذا الجزء وندخل فى علامة أخرى من علامات الإيمان...

الفصل الخامس

علاقة الايمان بنقاوة القلب

من الملاك الذى حولك ، والذى لقداسته لا يحتمل رؤية بعض الخطايا فيتركك... وكذلك لابد ستخجل من أرواح القديسين ومن أرواح أقربائك ومعارفك... وبهذا الخجل تبعد عن الخطية ، وتقترب إلى حياة النقاوة.

وإن كنت تؤمن أن الله قدوس ، ستخشى أن تظهر نجاساتك أمام هذه القداسة غير المحدودة. وفى كل مرة تقول فى صلاتك «قدوس قدوس قدوس» ستشعر فى داخلك بخزى عظيم على الماضى، ولا تجرؤ على ارتكاب الخطية فى المستقبل. إن اشعياء النبى عندما سمع السارافيم يسبحون الرب بهذه التسبحة **«قدوس...» صرخ قائلاً «ويل لى قد هلكت. لأنى إنسان نجس الشفتين...»** (اش ٦: ٣، ٤).

إن كنت تؤمن أن الله فاحص القلوب وقارىء الأفكار...

وأنه يعلم كل ما يخطر على فكرك وفى قلبك من مشاعر وخطط وتدابير، حينئذ كنت تخاف من معرفته لدواخلك وتخجل من قدسيته، وتبتعد عن هذه الأفكار والمشاعر، فتصل إلى حياة النقاوة.

ولعلك تقول :

أنا أؤمن بكل هذا : أؤمن أن الله موجود ، وأنه يرى كل شىء ويسمع ، وأنه يفحص القلوب ويقرأ الأفكار... ومع ذلك أنا لا أزال فى أخطائى... أجيبك على هذا بأنه:

ربما تؤمن بكل هذا نظرياً . ولكنك لا تحيا حياة تليق بإيمانك...!

إن الذى يحيا فى هذا الإيمان بأن الله يراه، والملائكة تراه، وأرواح المنتقلين تراه... عملياً لو وضع هذا الفكر فى قلبه، لكان يخجل، وتصغر نفسه فى عينيه، ولا يجرؤ أن يكمل خطاياه. ولكن على رأى أحد الآباء ـ كما ورد فى بستان الرهبان ـ كل خطية يسبقها إما الشهوة، أو التهاون، أو النسيان.

لعل الإنسان يكون أثناء الخطية ناسياً الله وملكوته .

ولعله يكون ناسياً أنه صورة الله ومثاله ، إن كان يؤمن حقاً بهذا. ولعله يكون ناسياً أيضاً كل وصايا الله ، وكل إنذاراته ، مع أنه نظرياً يؤمن بكل هذا ، ولكن لا يحياه. هو كما قلنا : له إسم المؤمن ، وليس له حياة المؤمن...

لا شك أنك تخجل أن تخطىء أمام إنسان بار تحترمه .

وقد تكون فى حضرته فى منتهى الحرص ، تستحى من أن ترتكب شيئاً مشيناً أمامه . لا تحب أن يأخذ عنك فكرة سيئة ، أو أن تسقط من نظره... بل قد تحترس أيضاً من الخطأ أمام أحد خدمك أو مرءوسيك ، لئلا يحتقرك فى داخله ، أو يقل احترامه لك...

لذلك فغالبية الخطايا تعمل فى الخفاء ، إما بسبب الخوف أو بسبب الإستحياء . وهكذا قيل عن الخطاة إنهم «أحبوا الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم شريرة» (يو ٣ : ١٩) . وقال الرب عن أعدائه المتآمرين عليه «هذه ساعتكم وسلطان الظلام» (لو ٢٢ : ٥٣) .

فإن كنت تخجل أو تخاف من إنسان يراك ، فكم بالأولى الله ؟!

فإن آمنت تماماً بأن الله موجود فى كل مكان أنت فيه ، يراك ويسمعك ويرقبك ، فلا شك سوف تخجل أو تخاف من أن ترتكب أى خطأ... أمام الله . ولهذا فإن القديس يوسف الصديق عندما عرضت عليه الخطية ، رفض الخطية قائلاً :

« كيف أفعل هذا الشر العظيم ، وأخطىء إلى الله » (تك ٣٩ : ٩) .

إعتبر أنه خطأ إلى الله . كسر لوصاياه . وعدم احترام له ، إذ يفعل الشر قدامه بلا حياء... فهل عندك هذا الشعور؟ هل تضع الله أمامك فى كل خطية تحارب بارتكابها . وهل تذكر ما قاله الرب لكل ملاك من ملائكة الكنائس السبع (فى سفر الرؤيا) . إذ قال لكل منهم :

« أنا عارف أعمالك » (رؤ ٢ : ٢ ، ٩ ، ١٣ ، ١٩ ، رؤ ٣ : ١ ، ٨ ، ١٥) .

لو عرفت هذا ستخجل وتخاف ، وتمتنع عن الخطية ، لأن خوف الله سيكون أمام عينيك باستمرار فى كل مرة تحاول فيها أن تخطىء

بل إنك تشعر بالاستحياء من أرواح الملائكة والقديسين .

إن كنت تؤمن من كل قلبك أن ملائكة الله حالة حولنا (مز ٣٤ : ٧) . وأننا «صرنا منظراً للعالم ، للملائكة والناس» (١كو ٤ : ٩)... حينئذ لابد ستخجل

لذلك : إن كنت تؤمن بالأبدية ، فضع الأبدية أمامك لكى لا تخطىء .

إن الذى يؤمن حقاً بأن الموت يأتى كلص (١ تس ٥ : ٢) ، والذى يؤمن بأن الله عادل . وقد قال إنه سيأتى ليجازى كل واحد حسب أعماله (رؤ ٢٢ : ١٢) ، والذى يؤمن بالحياة بعد الموت ، والدينونة ، والثواب والعقاب ، والوقوف أمام الله فى ذلك اليوم الرهيب الذى فيه تفتح الأسفار ، وتكشف النيات والأفكار ، وتعلن كل أعمال بنى البشر أمام الكل ... الذى يؤمن بهذا حقاً ، إيماناً عملياً ، من الصعب عليه أن يخطىء ، بل يجد رادعاً داخله يثنيه ، خوفاً وخجلاً ... وتراه دائماً يستعد لملاقاة الرب فى ذلك اليوم ...

ولماذا أتكلم عن الدينونة ، إنى أقول من ناحية أخرى :

إن كنت تؤمن بمحبة الله ، فإنك تخجل أن تجرح محبته .

كثيراً ما تقول « الله محبة » (١ يو ٤ : ٨ ، ١٦) . ولكنك أثناء الخطية ، لا تكون فى حالة إيمان عملى بمحبته . بل ربما لا تكون هذه المحبة فى فكرك إطلاقاً .

إن كنت تؤمن حقاً بأن المحبة هى الرباط المقدس الذى يربطك بالله ، فكيف يمكن أن تخطىء ؟! « المولود من الله لا يخطىء » (١ يو ٣ : ٩) .

بل أنت لا تخطىء ، إن كنت تؤمن بالفضيلة كمنهج حياة .

كثيرون يتحدثون عن الفضيلة ، و يدعون الآخرين إليها ، ويمجدونها كثيراً . ولكنهم لا يحيونها . لا يؤمنون عملياً فى أعماقهم بأن تكون الفضيلة هى منهج حياة لهم . وإن آمنوا بذلك عملياً ، لعاشوا فى حياة النقاوة ، مبكتين أنفسهم بشدة على كل ضعف ...

أيضاً الذى يؤمن بفناء هذا العالم ، يزهده ولا يخطىء .

مثلما كان يقول داود النبى « غريب أنا على الأرض ، فلا تخف عنى وصاياك » (مز ١١٩ : ١٩) ، « غريب أنا عندك ، نزيل مثل جميع آبائى » (مز ٣٩ : ١٢) . وهكذا عاش رجال الإيمان فى كل جيل « أقروا إنهم غرباء ونزلاء على الأرض ... يبتغون وطناً أفضل ... سماوياً » (عب ١١ : ١٣ ، ١٦) ... زهدوا كل شىء فى هذه الدنيا ، وأطاعوا قول الرسول « لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم ... لأن العالم يمضى وشهوته معه » (١ يو ٢ : ١٥ ، ١٧) .

وبهذا الإيمان عاشوا فى العالم ، دون أن يعيش العالم فيهم .

وكان هؤلاء « الذين يستعملون العالم ، كأنهم لا يستعملونه » (١كو ٧ : ٣١) . وبهذا الإيمان -على نطاق أكبر- عاش الرهبان والمتوحدون وسكان الجبال فى زهد ونسك « وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم ، تائهين فى برارى وجبال وشقوق الأرض » (عب ١١ : ٣٨) . وشُهد لهم بالإيمان...

هكذا يفعل الإيمان ، فى تنقية القلب . وكما قال الرسول :

« هذه هى الغلبة التى تغلب العالم ، إيماننا » (١ يو ٥ : ٤) .

إيماننا بأن نعيش على الأرض « غير ناظرين إلى الأشياء التى تُرى ، بل إلى التى لا تُرى . لأن التى ترى وقتية ، أما التى لا ترى فأبدية » (٢كو ٤ : ١٨) . نعم إن الإيمان بفناء العالم ، هو الذى يجعلنا نغلب العالم ، ونتنقى من العالم وما فيه .

إن الإيمان بالأبدية ، يعطى الإنسان يقظة فى ضميره .

وهكذا يكون له باستمرار ضميرٌ حىّ : يحكم على كل عمل ، ليس فقط من جهة نجاحه أو فشله ، أو من جهة نتائجه فى حياتنا الحالية... إنما يحكم على الأمور بمنظار الأبدية... لأن كل تصرف يتصرفه ، له دخله فى مصيره الأبدى ، وربما فى مصائر الناس... فكل خير يعمله محفوظ له فى السماء . وكل خطأ يقترفه فى حق الناس أو فى حق نفسه ، سيعطى عنه حساباً فى يوم الدين .

وأيضاً الإيمان بوجود الله أمامنا ، يمنح القلب اتضاعاً .

يمنحه اتضاعاً فى القلب ، واتضاعاً فى التصرف ، ويمنحه خشية وخشوعاً لأنه واقف أمام الله . مثلما قيل عن القديس بطرس ، إذ كان يصيد (بعد القيامة) إنه لما عرف أن الرب قد أتى « ائتزر بثوبه ، لأنه كان عرياناً » (يو ٢١ : ٧) .

فى حضرة الرب يقف كل إنسان فى خشوع . وبقدر إحساسه بوجود الله ، على هذا القدر يكون خشوعه . وهكذا يختلف الناس فى شعورهم أثناء الصلاة ، فمنهم من يركع ومن يسجد ، أمام عظمة الله غير المحدودة... أما الذى يكون جالساً أثناء الصلاة ، فماذا أقول عنه ؟!

والإحساس الدائم بوجود الله - حتى فى غير وقت الصلاة - يجعل الإنسان فى

اتضاع دائم، لأن العظمة هى لله وحده. وتعاظم الإنسان عمل ضد الإيمان...

لذلك فنحن نرى الملائكة القديسين فى هذا الخشوع الدائم.

يقول الكتاب عن طغمة السارافيم « لكل واحد ستة أجنحة : باثنين يغطى وجهه، وباثنين يغطى رجليه، وباثنين يطير» (اش ٦ : ٢). فإن كان الملاك الساراف، يغطى وجهه ورجليه فى حضرة الله، من بهاء عظمة الله، فماذا نقول نحن؟ وكيف ينبغى أن نكون خاشعين وفى اتضاع قدامه...

إلى هذه الدرجة نرى الإيمان ينقى القلب، ويمنحه خشية وحياء واتضاعاً...

فالذى يؤمن بأهمية الله بالنسبة إليه، يخشى من اقتراف الخطية، لأنها انفصال عن الله. وما أخطر أن ينفصل إنسان عن الله.

أما الذى لا يؤمن بخطورة الخطية، وبخطورة نتائجها الروحية، فإنه يتساهل معها ويسقط، ويفقد نقاوته. أنظر مدى شعور داود بخطورة الخطية حينما قال للرب « لك وحدك أخطأت، والشر قدامك صنعت» (مز ٥١). وانظروا إلى يوسف الصديق، إذ يؤمن أنه حينما يخطىء إلى أحد، إنما «يخطىء إلى الله» (تك ٣٩ : ٩).

كل هذه المشاعر الإيمانية إما أنها تجعل الإنسان يمتنع عن الخطية مثل يوسف، أو ينسحق بعدها مثل داود. وكلا الأمرين من علامات نقاوة القلب.

الفصل السادس



بساطة الإيمان ، كثير من المفكرين يشتهونها ولا يجدونها .

مرّ أحد الفلاسفة على فلاح بسيط ، يصلى فى حرارة شديدة وهو ساجد فى خشوع ، يكلم الله بلجاجة ودالة ، كأنه واقف أمامه... فقال : أنا مستعد أن أتنازل عن كل فلسفتى ، مقابل أن أحصل على شىء من إيمان هذا الرجل البسيط ، الذى يكلّم من لا يراه ، بكل هذه الثقة...

لقد شعر الفيلسوف بأن هذا الرجل البسيط ، يمتلك شيئاً ثميناً لم يستطع هو بكل فلسفته أن يحصل عليه... وهو الإيمان .

بساطة الإيمان « تصدق كل شىء » يختص بالله ، وتقبله بلا فحص وبلا جدال... أعنى ذلك الجدال الذى يشتهر به العقلانيون...

وهذه البساطة تذكرنا بإيمان الأطفال ، الذين يؤمنون بكل الحقائق اللاهوتية والروحية ، فى ثقة كاملة لا تشك ولا تكذّب ، ولا تقدم أى اعتراض من العقل . ولعل هذا من الأسباب التى دعت السيد المسيح أن يقول لتلاميذه «إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال ، فلن تدخلوا ملكوت السموات» (متى ١٨ : ٣)... قد يكون إيمان الإنسان الكبير أكثر عمقاً . ولكن إيمان الطفل أكثر براءة وبساطة وصدقاً . إيمان حقيقى لا شك فيه . ليت إيمانك يكون قوياً ، كإيمان طفل .

أنا لست أوافق الذين يقولون إن الأطفال غير مؤمنين...

هوذا بولس الرسول يقول لتلميذه تيموثاوس « إنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكمك للخلاص ، بالإيمان الذى فى المسيح يسوع » (٢تى ٣ : ١٥) . وما أعظم امتداح الرب للطفل الذى أقامه وسط تلاميذه (متى ١٨ : ٢ ، ٣) .

الذى يسلك فى بساطة الإيمان ، يعيش بعيداً عن تعقيدات العقل .

ويعيش بعيداً عما يقدمه العقل من شكوك وأفكار ، وربما من أضاليل . حقاً إن العقل وزنة من الله . ولكنها كثيراً ما تضل إن بعدت عن الإيمان .

الإيمان هو نوع من التجلى ، يقدمه الله للعقل لكى يستنير .

وإن وقف العقل وحده ، فإنه يتعب صاحبه بأفكاره... لو كان الصبي داود يعتمد على عقله وفكره، لخاف من جليات مثلما خاف شاول الملك وكل الجيش... ولكنه اعتمد على الإيمان البسيط، الذى قال به لجليات «اليوم يحبسك الرب فى يدى» (١صم ١٧ : ٤٦). ولكن كيف يحبسه الرب فى يده؟ هذا شيء لم يفكر فيه داود، إنما تركه إلى الله نفسه، لأن الحرب للرب كما قال (١صم ١٧ : ٤٦)... هذا هو الإيمان. وبه انتصر داود، أكثر من الذين كانوا يستخدمون العقل ميزاناً للأمور...

فى الإيمان البسيط ، المسألة ليست مسألة تفكير، إنما مسألة ثقة.

وحتى إن قال العقل إن الحرب لا بد أن تبحث ما مدى توازن القوى فى القتال، وكيف تتفوق إحداها؟ فالإجابة بسيطة: وهى أن الله إذا دخل المعركة، فإنه سيغير الفكرة البشرية عن ميزان القوى، فيصبح الطفل داود ومعه قوة الله، أقوى بكثير من جليات الجبار بدون هذه القوة. وهنا نرى أن الإيمان ـ مع بساطته ـ لا يتعارض مع العقل وموازينه...

الذى يحيا بالإيمان البسيط ، يعيش بلا همّ .

لأن الهمّ غالباً ما يأتى نتيجة التفكير الكثير، الذى يفكر فى المشاكل بطريقة عقلانية. ولكن فى بساطة الإيمان يعمل الإنسان ما يستطيعه، ويترك العنصر الأهم لله نفسه، ولا يحمل هماً. وإيقانه بأن الله يعمل، يعطيه سلاماً فى القلب، ولا يسمح للهم بالسيطرة على مشاعره.

الذى له الإيمان البسيط لا يحمل هماً ، لأنه قد ترك تدبير أموره إلى الله. وإذ وثق بحسن تدبير الله لحياته، صار لا يهتم بالغد، لأن إله الغد هو المهتم به. وكل ما يحدث له فى حياته يتلقاه بعبارة «كله للخير»، «كل الأشياء تعمل معاً للخير، للذين يحبون الله» (رو ٨ : ٢٨).

أما الذى يضع تفكيره مكان التدبير الإلهى ، فإنه يتعب كثيراً، ويحمل همومه بدلاً من أن يحملها الله عنه.

كذلك مما ينزع الهمّ ، ثقة الإيمان البسيط باستجابة صلاته.

ولعلكم جميعكم تعرفون قصة تلك البلدة التى أتعبها الجفاف لعدم سقوط المطر ،

فقرر أهلها إقامة يوم للصلاة من أجل أن يسقط الله المطر على الأرض. وذهب الكل لكى يصلوا. ولكن طفلة ذهبت وهى تحمل معها مظلة (شمسية). فلما سألوها عن ذلك، قالت: ألسنا سنصلى من أجل المطر؟ ماذا نفعل إذن، حينما يستجيب الله صلاتنا و يسقط المطر، وليست معنا شمسيات؟! لقد كان لها الإيمان باستجابة الصلاة. ومن أجل إيمانها أنزل الله المطر...

هذا الإيمان البسيط، له قوته بالنسبة إلى المعجزات والرؤى

لقد تحدث المعجزة بالنسبة إلى شخص، ولا تحدث بالنسبة إلى شخص آخر. لأن الأول فى بساطة الإيمان يصدقها و يقبلها. أما الآخر فإن الصعوبات التى يقدمها عقله، تجعله يشك فى داخله من جهة إمكانية حدوثها.

ونفس الوضع يحدث بالنسبة للرؤى. البعض يرى المناظر الإلهية والإستعلانات ببساطة إيمانه. والبعض لا يراها بتعقيدات عقله. والأمر واضح جداً كما حدث فى ظهور السيدة العذراء بكنيستها فى الزيتون بالقاهرة.

العقل يحاول أن يحلل كل شىء علمياً، وإلا فإنه لا يصدّق. بينما الإيمان يحتاج إلى تصديق، فى بساطة، بعيدة عن تعقيدات العقل...

لذلك فالمعجزات والرؤى تحدث بالأكثر مع البسطاء. أما (العقلاء كثيراً!!) الذين ينكرونها و يستهزئون بمصدقيها، فإنها لا تحدث لهم إلا نادراً، لكيما تجذبهم إلى الإيمان، أو لتكون شاهداً عليهم (يو ١٥: ٢٢).

إن اليهود لم يصدقوا حتى معجزة منح البصر للمولود أعمى، وقالوا له إن الذى شفاه رجل خاطىء!! (يو ٩: ٢٤). كان العقل يضع أمامهم مشكلة الشفاء فى يوم السبت، لكى يضيّع بها إيمانهم (يو ٩: ١٦).

لذلك حسناً قال السيد المسيح عن هؤلاء وأمثالهم، وممجداً للبسطاء: «**أحمدك أيها الآب ... لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء. وأعلنتها للأطفال**» (**مت ١١: ٢٥**). حقاً هؤلاء الأطفال يقصد بهم البسطاء فى إيمانهم... أما هؤلاء الحكماء والفهماء فى هذه الآية، فهم المعتزون بإدراكهم وفهمهم، والمعتمدون على عقلهم وحده، بعيداً عن الإيمان... حتى أن بعض الروحيين أمسك رأسه بين يديه

وقال : « إن هذه هى الثمرة التى أكل منها آدم وحواء » ... يقصد المعرفة البعيدة عن الله ...

فى إحدى الليالى ، قبل رهبنتى ، كنت راجعاً من زيارة أحد الآباء فى الجبل. وكان الظلام قد انتشر، فقيل لى «لا ترجع وحدك إلى الدير لئلا تضل الطريق» . وكنت أعرف الطريق جيداً ، وأؤمن بإرشاد الله فيه ، ومع ذلك قلت «إن ضللت طريقى ، سأبيت فى الصحراء حتى الصباح . وكنت مؤمناً من أعماق بستر الله فى هذا ، وبخاصة لأن كثيراً من الأعراب يبيتون فى الصحراء بلا خوف ، ولكن قيل لى «إنك بسيط أزيد مما يجب ، ولا تعرف الجبل . لأن الجبل مملوء بالحشرات والدبيب ، وهناك خطر الوحوش أيضاً ، وأخطار أخرى من جهة الجو... وظل (العقل) ينصب فى أذنى ، ليزيل ما فى قلبى من بساطة الإيمان... ورجعت ليلتها إلى الدير مع أحد الآباء . ولم يعطنى (العقل) وقتذاك فرصة أختبر فيها عمل الله مع السائرين ليلاً فى الصحراء ، ولا حتى اختبار إيمان الإعرابى الذى يبيت كل ليلة هناك ، وتبيت معه عناية الله وستره...

أشكر الله أننى عوضت ذلك فيما بعد حينما سكنت فى الجبل وحدى .

إن العقل يمكنه أن يصور خطورة فى كل مكان . وفى نفس الوقت لا يعطى مجالاً للتفكير فى عمل الله... وعلى العكس يطرح غير المؤمن فى عقدة الخوف .

ليس معنى هذا أن يلقى الإنسان بنفسه فى التهلكة ، بلا حكمة . وإنما إذا احترس بقدر طاقته ، ثم وجد نفسه فيما يسمونه خطراً ، فحينئذ بكل بساطة يثق فى حفظ الله وستره . ويغنى مع داود النبى «يسقط عن يسارك ألوف ، وعن يمينك ربوات . وأما أنت فلا يقتربون إليك» (مز ٩١) .

الإيمان البسيط يثق بأن يد الله تتدخل للإنقاذ ولحل كل مشكلة .

هو يثق تماماً أن الله كمحب للبشر ، وكصانع للخيرات ، لا بد سيتدخل فى المشكلة ـ حسب وعوده لأولاده ـ وتمتد يده لحلها

أما كيف يحدث هذا ؟ فهذا ما لا يسأل عنه الإيمان البسيط .

إنه يتقبل عمل النعمة فى بساطة ، دون أن يفحص كيف تعمل .

وكم من مرة حاولنا أن نحل مشاكلنا بطرق بشرية . ثم فشلت هذه الطرق جميعها ، ولم تأت بنتيجة . وكانت بصمات الله واضحة ، فوق كل فكر .

الإيمان البسيط يثق بعمل الله ، عقيدياً ، وعن طريق الخبرة .

الإيمان يدخل الإنسان فى دائرة الإختبارات . والإختبارات تعمق الإيمان وتبنيه على أسس واقعية وليس على مجرد أسس نظرية . والإيمان والإختبار يقويان بعضهما بعضاً ... حتى يصل الإنسان إلى يقين بديهى وهو بساطة الإيمان .

الإيمان البسيط يثق أن كل شيء مستطاع ، وليس هناك مستحيل .

إنه يوقن تماماً أن الله قادر على كل شيء ، ولا يعسر عليه أمر (أى ٤٢ : ٢) . مهما كان صعب الفهم أو صعب الحدوث . إنه يؤمن بقول الرب « غير المستطاع عند الناس ، مستطاع عند الله » (لو ١٨ : ٢٧) .

وأنا لا تدهشنى عبارة « كل شيء مستطاع عند الله » إنما تذهلنى عبارة « كل شيء مستطاع للمؤمن » (مر ٩ : ٢٣) .

وهكذا فإن الإيمان البسيط الموقن بهذا ، يرتفع فوق كل الشكوك .

إنه إيمان قوى ، أقوى من كل شك . لأن الشكوك هى من عمل العقل ، والعقل معتز بمقاييسه . أما المؤمن فقد اجتاز مرحلة العقل ، وعاش فى مجال أعلى منها وأعمق . فأعلى من الشكوك توجد بساطة الإيمان .

مشكلة الدين ، أن البعض يحاول أحياناً أن يحوله إلى فلسفة ، وأن يخرجه من القلب ، ومن الروح ليحصره فى نطاق العقل .

وهذا هو الأمر الذى حاربه القديس بولس الرسول بكل قوته ، فقال إن كرازته كانت « لا بحكمة كلام ، لئلا يتعطل صليب المسيح ... » (١ كو ١ : ١٧-٢٠) .

يقيناً أن المؤمن البسيط ، الذى يكتنز إيمانه فى أعماقه ، فوق مستوى الفحص ، هو أقوى إيماناً من بعض علماء اللاهوت ، الذين يستمدون إيمانهم من الكتب التى يظنون أن لهم فيها حياة ... وقد يكون إيماناً يمكن أن تزعزعه أفكار عقلية مضادة ...

درّب نفسك على حياة الإيمان البسيط . وانتفع بما مرّ فى حياتك أو حياة غيرك من خبرات . ولا تجعل كثرة التفكير تبعدك عن الإيمان !

الفصل السابع

طاعة الإيمان

أو حياة التسليم

إن الذى يؤمن بمحبة الله له ، وسهره على راحته ، وبحكمة الله وحسن تدبيره لحياته، وبأن الله صانع الخيرات، يعمل لأجله كل خير.. هذا يمكنه أن يسلّم حياته لله، يدبرها كيفما يشاء .

وبهذا الإقتناع يحيا باستمرار فى طاعة الإيمان .

إنه يسلم حياته لله وهو مطمئن وسعيد ...

أما الذى لا يحيا فى حياة التسليم ، فإنه على العكس يعيش قلقاً على حياته ، ويظل يفكر: ماذا أكون؟ وكيف أكون؟ ومتى أكون؟ وهل ينبغى أن أغير ما أنا فيه؟ وبأية وسيلة؟ أم أظل كما أنا...؟ ويتعبه التفكير، وغالباً ما يفقد سلامه، ويظل فى سعى مستمر، ومناقشة الأمور مع نفسه، إلى غير نهاية... ولا يفكر مطلقاً أن يستريح ، ويترك الأمر لله مثل رجل الإيمان...

الإنسان المؤمن عندما يسلم حياته لله ، لا يشترط عليه شروطاً، ولا يطلب منه ضمانات، ولا يراقب الله فى عمله معه...

إنه واثق بالله كل الثقة ، فى محبته ، وفى حكمته ، وفى قدرته . مؤمناً أن الله يعرف ما هو الخير له أكثر مما يعرف هو. لذلك يسلم حياته فى يدى الله ، وينساها هناك . وهكذا نراه لا يحمل هماً .

مادام هو مؤمناً بعمل الله من أجله ، لا يمكن أن يقلق ويهتم ، ولا يمكن أن يتعب نفسه بالتفكير. فالمؤمن يحيا فى راحة ، أكثر من الذى يفكر لنفسه ويتعبه تفكيره...

كثيرون لا يقبلون التسليم لله ، إلا إذا فشلت طرقهم البشرية !

منهجهم الأساسى هو الإعتماد على الذراع البشرى كل الإعتماد: إما اعتداداً بذهنهم وقدراتهم وحيلهم ، أو لتعودهم هذا الأسلوب ، أو لخطأ عقيدى عندهم ، أو اقتناعاً بأن الله لا يلجأ إليه الإنسان إلا فى حالة العجز والفشل الكاملين! حينئذ يأتون إلى الله ، لأنهم جربوا كل حيلة وكل وسيلة وما وصلوا إلى غايتهم ، ولأن فكرهم تعب وأنهك بلا فائدة. فلم يبق سوى الله !

ليس هذا هو الإيمان ، إنما هذا هو الإضطرار إلى الله .

الإيمان هو أن تلجأ إليه فى الصغائر ، كما تلجأ إليه فى الكبائر.

قال السيد المسيح « بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً » (يو ١٥ : ٥) . ذلك لأن كل طاقة لنا هى من عنده... حتى الفكر الصائب ، وحتى مجرد الإرادة الطيبة ، وحتى القدرة على العمل . وذكاؤنا هذا الذى نعتمد عليه ، هو أيضاً من عنده . وما أصدق قول الرسول « لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا لأجل المسرة » (فى ٢ : ١٣) .

إن عملنا فى الواقع ، هو أن نشترك مع الله ، فى عمله لأجلنا .

وهذه هى شركتنا مع الطبيعة الإلهية ، شركتنا مع الروح القدس : نشترك مع الله فى العمل . كما قال القديس بولس الرسول عن نفسه وعن زميله أبولس « نحن عاملان مع الله » (١ كو ٣ : ٩) .

وكل عمل لا يشترك الله معنا فيه ، لا يكون عملاً مقدساً ، ولا عملاً مباركاً . وتسليمنا الإرادة لله ، هو نوع من الشركة معه ، نكون فيه كآلات طيعة بين يديه تعمل مشيئته . هو يسيّرها كيفما يشاء . وهى تعمل بفكره وإرادته ، أو بتسليم إرادتها لإرادته ، كشركة الحواس مع المخ...

إن أخطر ما يهدد الحياة الروحية ، هو استقلال الإنسان عن الله .

وهذه هى الخطية الكبرى التى وقع فيها شاول الملك فرفضه الله (١صم ١٦) . كان يعمل بفكره وبتدبيره ، بعيداً عن مشورة الله وعن شركته . ولا يرى أنه محتاج إلى أن يشترك الله معه فى العمل . وكأنه يقول : مادمت أستطيع أن أعمل هذا العمل ، فسأعمله ، بكل قوة ، وبكل سرعة ، وحتى بدون صلاة... لأن إرادتى وحدها هى التى سوف تعمله... ! وبدون اعتماد على الله . وإن فشلت ، ألجأ إليه ! مادام الله قد وهبنى عقلاً وإرادة ، فلماذا لا أستخدمها ؟! ... وكثيرون مثل شاول...

الله قد وهب البشرية العقل والإرادة . ولكن ليس لتستقل عنه !

وليس لكى تعتد بذاتها . فالكتاب يقول « وعلى فهمك لا تعتمد » (أم ٣ : ٥) . ولنتذكر أن خطيئة الإنسان الأول ، كانت محاولته الحصول على المعرفة بعيداً عن الله (تك ٣) ...

ومتى بدأ الإنسان يقول « أنا أعرف ، وأنا أقدر . فما الحاجة فى هذا [illegible] إلى الله ؟! » يكون حينئذ قد بعد عن الإيمان بالله ، ودخل فى الإيمان بالأنا (الذات) الـ Ego ...

أما المؤمن فلا يكتفى بالإعتماد على الله ، بل يسلمه كل شىء ...

و يقول له : حياتى هى صنع يديك ، وهى الآن بين يديك ، إفعل بها ما تشاء . حيثما تسيرنى أسير، وكيفما تصيرنى أصير. أنا ليست لى إرادة خاصة ، فإرادتى الوحيدة هى أن أصنع إرادتك ، وأن أتحد بإرادتك ، فأريد ما تريده أنت ، أنت يا صانع الخيرات ...

لست أقول عن شىء إنى أعرف . فكل معرفة الإنسان هى جهالة عند الله (١كو ١ : ٢٠) . المعرفة الحقيقية هى من عندك يارب وحدك . أنت هو الحكمة (١كو ١ : ٢٤) . أنت « المذخر فيه كل كنوز الحكمة والعلم » (كو ٢ : ٣) .

ولأنى أعترف أنى لا أعرف ، لذلك سلمت حياتى فى يديك .

أنت تعرف الخير أكثر مما أعرفه . وأنت تعرف الخير لى أكثر مما أعرفه لنفسى . وأنا واثق بحكمتك وبحسن تدبيرك لحياتى . حتى إن شئت لى التجربة أو الضيقة ، فأنا أقبلها باعتبار أنها خير خالص هو من يديك . ولولا ذلك ما كنت أنت المحب ترضاها لى . حقاً فى حالات كثيرة ، لا نعرف أين هو الخير !

إن حياة التسليم لا تعرف الشكوى ولا التذمر، بل تقبل كل شىء برضى وفرح ...

مادمت يا أخى تثق بحكمة الله فى تدبيرك ، فلماذا إذن أنت تشكو أو تتذمر أو تضجر. إذا دخل التذمر إلى حياتك ، فافحص نفسك جيداً ، لئلا يكون إيمانك قد ضعف وأنت لا تدرى .

الذى يحيا حياة الإيمان والتسليم ، يحيا دائماً فى فرح وفى شكر.

إنه لا يشكو بل يشكر ، الإبتسامة لا تفارق شفتيه ، والبشاشة لا تفارق وجهه ، والفرح لا يفارق قلبه . إنه يؤمن بحكمة الله ومحبته . و يؤمن أن مشيئة الله دائماً صالحة ومفيدة . وهو يخضع لمشيئة الله فى فرح ...

لا يخضع لمشيئة الله فى تغصب واضطرار . وكأن قلبه يقول لله : « ماذا أفعل

يارب؟ أنت هو القوى وأنا الضعيف. وكل ما تعمله أنا أقبله. وأنا منتظر نهاية هذا الأمر...!!» . لاشك أن هذا كلام إنسان متعب فى داخله، يتكلم بكلام تذمر فى أسلوب تسليم. وليس التسليم هكذا...

إذن ما معنى « لتكن مشيئتك » فى حياة الإيمان وحياة التسليم؟

الإنسان المؤمن يقول فى رضى قلبى كامل : أنا يارب خاضع لمشيئتك، لأنى أحب مشيئتك من أعماق، وأثق بك وبها. مشيئتك هذه أصلحت أفكارى، وأصلحت أحكامى على بعض الأمور، وعدلت مسارى وطريقى... ما أجمل طرقك يارب «ما أبعد أحكامك عن الفحص، وطرقك عن الإستقصاء» (رو ١١ : ٣٣). مشيئتك هذه هى أجمل أغنية فى فمى، وأحلى الأخبار فى أذنى. فلتكن مشيئتك إذن، لأنه لا توجد مشيئة أخرى أياً كانت أصلح منها. إلى جوارها أشعر بجهالة أية مشيئة تتعارض معها، سواء كانت لى أو لغيرى...

ليست حياة التسليم، هى الخضوع لسياسة الأمر الواقع، دون اقتناع!

وليست هى الخضوع لسياسة الضغط الإلهى (!) الذى يفرض سلطانه عليك فرضاً! وأنت مضطر أن تخضع له سواء أردت أو لم ترد!!

لا يا أخوتى، ليس هذا هو معنى عبارة « لتكن مشيئتك » . فحياة التسليم تعلمنا أن نشعر بأن مشيئة الله هى الخير الكامل، وهى أصلح ما يصلح لنا، وهى سبب فرحتنا وبهجتنا، ولهذا كان داود النبى يتغنى بأحكام الله. ويقول للرب: أحكامك هى درسى. أحكامك هى لذتى. أنا أتأمل أحكامك وأدرسها (مز ١١٩).

التسليم لله ينبغى أن يكون تسليماً حقيقياً، وليس حسب الظاهر.
البعض يظن أنه يسلّم حياته لله، بينما يفرض على الله خططه!

كلما يتصرف الله فى حياته، يحاول أن يستوقف الله، ويقول له: إنتظر يارب لأرى ما أنت فاعل بى. لا يصلح هذا الأمر. إعمل كذا وكذا لأستريح. وهكذا يود أن يشتغل عند الله وزير تخطيط. هو يخطط، والله ينفذ!!

كلا، ليس التسليم هكذا، إنما هو أن تترك الله يعمل حسبما يشاء، وترضى بما يعمل. ولا تقاوم خطط الله بتصرفاتك. لا تقاوم مشيئته بما تعمله حسب هواك...

الإنسان المؤمن يترك التدبير لله . ولا يقبل أن يدبر نفسه بنفسه .

ماذا كانت خطية أبينا آدم سوى أنه بدأ يدبر نفسه : كيف يصل إلى المعرفة ؟ كيف يصير مثل الله ؟ كيف يكوّن نفسه و يبنيها ... وهكذا سقط .

وخطية الشيطان ، هي أنه بدأ يدبر نفسه ، ويبنيها ويكبرها حسب هواه !

« أصعد إلى السموات . أرفع كرسيّ فوق كواكب الله ... أصعد فوق مرتفعات السحاب . أصير مثل العلى » (اش ١٤ : ١٣ ، ١٤) . إنها خطط تشبه أحلام اليقظة ، رسمها الشيطان لنفسه « فانحدر إلى الهاوية ، إلى أسافل الجب » .

وبالمثل الذين بنوا برج بابل ، جلسوا يخططون لبناء أنفسهم ، ففشلوا .

قالوا « هلم نبنِ لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه فى السماء . ونصنع لأنفسنا إسماً لئلا نتبدد على وجه الأرض » (تك ١١ : ٤) . فكان تخطيطهم ضدهم . وما خشوه ، هو الذى صاروا إليه « فبددهم الله على وجه كل الأرض » (تك ١١ : ٩) .

أما الإنسان الروحى فلا يفعل هكذا ، بل فى حياة التسليم يقول :

« إن لم يبن الرب البيت ، فباطلاً يتعب البناءون » (مز ١٢٧ : ١) .

الله هو الذى يبنينا وليس نحن . إذن نسلمه أنفسنا ليبنيها .

وهكذا نعيش فى راحة ، مطمئنين إلى عمل الله فينا ، وإلى نجاح عمله . نقف ونتأمل ، فنرى عجائب من تدبيره . واثقين أنه يعمل الخير ، مهما كان الذى يحدث أمامنا غريباً ، أو صعباً ، أو ضد ما كنا نرجوه .

ليس المهم أن نفهم ما يعمله الله . إنما المهم أننا بالإيمان والتسليم نتقبله .

والكتاب المقدس حافل بأمثلة التسليم فى حياة رجال الإيمان :

١ - أبونا ابراهيم مثلاً ، كانت بداية قصته مع الله ، هى قول الله له « أترك أهلك وعشيرتك وبيت أبيك ، إلى الأرض التى أريك » (تك ١٢ : ١) .

وأبونا ابراهيم لم يسأل لماذا ؟ ولا إلى أين ؟ بل أطاع ...

هذه هى حياة التسليم ، التى لا تجادل ولا تناقش ، بل تقبل وتطيع ، بلا تردد . تدع فهمها جانباً ، وتركز على أمر الله .

٢ ـ وهكذا كان نوح فى الفلك ، وكان يونان فى بطن الحوت ، وكان موسى فى البحر الأحمر... فى حياة تسليم كامل .

إنها طاعة الإيمان . مادام الله يريد هذا ، فنحن لا نناقشه . وما هو عقلنا المحدود الضعيف ، حتى يناقش الله غير المحدود ، كلى الحكمة...؟! إن موسى فى بدء إرساليته جادل الله فى كيف يدخل إلى فرعون (خر ٣) ، ولكنه لما نما فى الإيمان والتسليم لم يجادل فى دخوله البحر الأحمر...

٣ ـ القديسة العذراء مريم عاشت كمثال لحياة الطاعة والتسليم .

مع كل محبتها للبتولية ، قيل لها أن تخطب لرجل وتعيش معه فى بيت واحد ، فأطاعت . وأرسل لها الله ملاكاً يقول لها إنها ستحبل وتلد ، فقالت له « هوذا أنا أمة الرب . ليكن لى كقولك » (لو ١ : ٣٨)... ومع ولادتها لله الكلمة ، ورؤيتها كل ما أحاط بهذا الميلاد من معجزات ، قيل لها أن تهرب به إلى مصر وتتغرب هناك ، فقبلت كل ذلك فى طاعة الإيمان . وفى تسليم أيضاً رجعت من مصر ، وقبلت أن تسكن فى الناصرة (متى ٢ : ٢٣) ، التى قيل إنها لا يخرج منها شىء صالح (يو ١ : ٤٦) .

وكان شعارها فى حياة التسليم هذه ، عبارتها الخالدة « ليكن لى كقولك » .

٤ ـ ولعل الإيمان والتسليم يظهران فى حياة الرسل فى طاعتهم التلقائية لقول الرب « إتبعنى » أو « هلم ورائى » .

هكذا قال الرب لمتى (لاوى) . وهو فى مكان الجباية (مر ٢ : ١٤) فلم يناقش وإنما « ترك كل شىء وقام وتبعه » (لو ٥ : ٢٨) . ولم يفكر مطلقاً فى كل مسئولياته وعمله .

وبالمثل لما دعا الرب بطرس وأندراوس وباقى الرسل ، يلخص القديس بطرس كل قصص هذه الدعوة بقوله للرب « تركنا كل شىء وتبعناك » (لو ١٨ : ٢٨) .

إنها طاعة الإيمان التى تتبع الرب حيثما ذهب ، بلا سؤال ، بلا استفسار ، بلا تفكير فى المستقبل . وكما سنشرح أن كلاً منهم أطاع ، وهو لا يعلم إلى أين يذهب (عب ١١ : ٨) .

ونحن كثيراً ما ندعى ، فنحاول أولاً أن نطمئن على مستقبلنا .

لذلك نسأل الكثير من الأسئلة . ونحصل على ما نستطيعه من الضمانات .

وبكل هذا نخرج من الإيمان إلى العيان... إلى المستقبل الذى نراه بعيوننا ونطمئن إليه، وليس إلى المجهول الذى نراه بالإيمان، ونقبله بحياة التسليم والطاعة...

٥ - من أمثلة حياة الإيمان والتسليم والطاعة، أرميا النبى.

سار وراء الله بالإيمان، فى طرق لم يفكر مطلقاً أن يسير فيها... وأخيراً لخص خبرته فى حياة التسليم فى عبارة عميقة قال فيها «عرفت يارب أنه ليس للإنسان طريقه. ليس لإنسان يمشى أن يهدى خطواته» (أر ١٠: ٢٣). ولماذا لا يهدى خطواته؟ لأن الله هو الذى يقود هذه الخطوات ويهديها...

هذه هى حياة التسليم، أن تسير وراء الله، وليس وراء فكرك.

تسير ليس وراء هواك ورغباتك، وليس وراء مشيئة الناس أو مشورة الناس، إنما وراء الله نفسه الذى يقود حياتك. يضعها فى أى وضع، وفى أى موضع، حسب أعماق حكمته. فاسأل نفسك هل الله هو الذى يقود حياتك؟ أم تقودها رغبة معينة، هى التى تحدد تصرفاتك ومسير خطواتك؟

٦ - من الأمثلة العجيبة فى حياة التسليم: يوسف الصديق.

أظهر له الله بالرؤى أنه سيصير سيداً لإخوته، وسيسجدون له جميعهم (تك ٣٧: ١٠). فماذا كان تحقيق الوعد؟ أخذه إخوته وألقوه فى بئر ليقتلوه. ثم باعوه كعبد. وسحبه المديانيون من البئر ليبيعوه للإسماعيليين (تك ٣٧: ٢٨). ثم بيع لفوطيفار ليخدم فى بيته...

وفى كل هذا لم يحتج يوسف متذمراً على الرب وعلى أحلامه...

بل سكت. وسلّم فى هدوء لما سمح به الرب، وسلك بكل أمانة وإخلاص. وقبل الحياة كخادم... ولكنه رضى بالبلوى، والبلوى لم ترض به! فإذا بتهمة باطلة رديئة تلفق ضده، ويلقى به فى بيت السجن كفاعل إثم...!

ولم يحدث أن يوسف سأل الرب لماذا؟... أو أين هى وعودك؟

سكت فى مثل رائع لحياة التسليم وطاعة الإيمان. ولم يتذمر مطلقاً. وفى المرة الوحيدة التى خرج فيها قليلاً جداً عن حياة التسليم، وقال لرئيس السقاة بعد أن فسّر له حلمه «حينما يصير لك خير، **تصنع إلىّ إحساناً، وتذكرنى لفرعون، وتخرجنى** من هذا البيت» (تك ٤٠: ١٤)... لما **فعل هذا، أجاب الوحى الإلهى على هذا**

الطلب بقوله « ولكن لم يذكر رئيس السقاة يوسف ، بل نسيه » (تك ٤٠ : ٢٣)...

ولكن الله لم ينس يوسف ، الذى بقى فى السجن فى حياة التسليم ، حتى أخرجه الله منه بمجد عظيم ...

٧ - ومن أمثلة حياة التسليم وطاعة الإيمان : داود النبى .

كان « يرعى الغنيمات القليلات فى البرية » . وأرسل له الله صموئيل النبى ومسحه ملكاً . ولكنه لم يسلمه من الملك شيئاً... وبقى يرعى الغنيمات القليلات ، دون أن يتذمر. ثم اختير خادماً للملك شاول المرفوض من الله الذى بغته روح ردىء من قبل الرب (١صم ١٦: ١٤)... ولم يحتج داود .

لم يقل أنا الملك المختار من الله . فكيف أخدم هذا المرفوض ؟!

بل فى حياة التسليم تقبل الوضع . وكان يهدىء شاول الملك حينما تبغته الشياطين... وظل شاول يطارد داود من برية إلى برية ، ويحاول قتله ، حسداً منه وغيرة... ولم يحدث مطلقاً أن داود ناقش الله ، أو قال له أين مواعيدك ؟ أين المسحة المقدسة من النبى العظيم ؟ ولم يقل له ماذا فعلت من شر حتى أستحق كل هذا ؟!... بل انتظر، فى هدوء وفى تسليم ، خلاص الرب . وقد كان...

٨ - ومن أمثلة حياة التسليم : تلاميذ الرب .

دعاهم الرب للخدمة كما قال لبطرس وأندراوس « هلما ورائى فأجعلكما صيادى الناس» (متى ٤: ١٩) . ومرت ثلاث سنوات وهم يتبعونه ، دون أن يخدموا . ولم يصيدوا أحداً . ثم صلب الرب . وخافوا ، وأغلقوا على أنفسهم فى العلية لئلا يصيدهم اليهود... ومع كل ذلك لم يشكوا . وبقوا فى حياة الإيمان والتسليم .

وأخيراً بعد حلول الروح القدس ، تمم الرب وعده . وفى يوم واحد تمكن بطرس بعظة واحدة من أن يصيد ثلاثة آلاف نفس ... ولو أنه كان كل يوم يصيد نفسين ، ما وصل إلى هذا الرقم كله ، ولكن حياة التسليم تقول للرسول : **« إنتظر الرب . تقوّ، وليتشدد قلبك . وانتظر الرب » (مز ٢٧ : ١٤) .**

نعم يارب سأنتظر وعدك فى صيد الناس . ولكن هل إلى ثلاث سنوات وأكثر؟ إنه لكذلك . ولكن « ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التى جعلها الله فى سلطانه وحده » (أع ١ : ٨) .

إن حياة التسليم لا تناقش الرب فى مدى الإنتظار الطويل لمواعيده .

إنها لا تقول له : لماذا يارب تجعل بطرس ينتظر أكثر من ثلاث سنوات ليصير صياداً للناس؟ ولماذا تترك ابراهيم ينتظر خمسة وعشرين عاماً حتى تحقق له وعدك فى ميلاد اسحق؟ ولماذا تترك داود فى مذلته من شاول عشرات السنوات، حتى تحقق له اختيارك له ملكاً...؟

إن حياة التسليم لا تشك، وترى فى الإنتظار حكمة إلهية.

فقد كان داود صبياً حين اختياره. وكان الإنتظار نافعاً له حتى يكبر و ينضج، وحتى يزداد الناس حباً له يوماً بعد يوم. كذلك كان الإنتظار نافعاً لبطرس حتى تكتمل تلمذته للرب، وحتى يحين موعد حلول الروح القدس لينال به قوة هو وسائر الرسل. كذلك كان الإنتظار نافعاً لولادة اسحق، ليصير إبناً للموعد...

٩ ـ من أجمل الأمثلة فى حياة التسليم: تقديم اسحق محرقة.

لقد صبر ابرآم خمساً وعشرين سنة، حتى ولد له اسحق، إبنه المحبوب الذى أخذ المواعيد من أجله. وفرح به فرحاً لا يوصف. وكبر اسحق. وإذا بالرب يقول لأبينا ابراهيم «خذ إبنك، وحيدك، الذى تحبه، إسحق... وأصعده محرقة على أحد الجبال الذى أريك» (تك ٢٢: ٢)... أى قلب يمكنه أن يحتمل هذا؟! وأى عقل يسمع هذا ولا يشك...؟!

ولكن أبانا ابراهيم فى حياة التسليم، لم يناقش، ولم يتردد فى التنفيذ. بل بكّر صباحاً، وأخذ إسحق ليذبحه... ولم يحسب نفسه أحنّ من الله... ولم يشك فى محبة الله ولا فى حكمته...

إن الطاعة لا تكون فى الأمور السهلة فقط، وإنما تظهر فى قمة سموها فى الأمور التى تبدو صعبة جداً فى التنفيذ.

حياة التسليم تظهر فى الدخول من الباب الضيق والطريق الكرب.

مادمت أنت يارب موافقاً على هذا الباب الضيق، فإنه يكون أصلح الأبواب للدخول. ولا نناقشك... بل نفرح بذلك، ونرى أنك تختبر به محبة أولادك، ونقاوة قلوبهم، وتعد به لهم أكاليل فى ملكوتك...

وبهذا الإيمان، إستقبل الشهداء والمعترفون كل أنواع الآلام فى فرح. وكل أولادك يارب كانوا «يحسبونه كل فرح حينما يقعون فى تجارب متنوعة» (يع ١: ٢).

لا يعلم إلى أين يذهب

« بالإيمان ، إبراهيم لما دعى أطاع ...
فخرج وهو لا يعلم إلى أين يذهب »
(عب ١١ : ٨)

١ - هكذا سار أبونا ابراهيم وراء الله ، إلى المجهول ... لم يكن يعلم إلى أين الطريق ، إنما كان واثقاً أن الله يصحبه في الطريق ، ويرشد خطاه...

٢ - وهكذا حدث مع آبائنا الرسل الأطهار ، لما دعاهم الرب فتبعوه. وهم لا يعلمون إلى أين... إذ لم يكن للمسيح مقر معروف ، بل لم يكن له أين يسند رأسه (لو ٩ : ٥٨) . كان يطوف المدن والقرى يعلّم ويشفى ، مع أنه لم تكن له وظيفة رسمية في المجتمع اليهودى... ولم يكن له دخل مالى معروف . وحتى لما دعا تلاميذه ، قال لهم «لا تحملوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم... ولا تحملوا معكم شيئاً للطريق» (متى ١٠ : ٩ ، مر ٦ : ٨) .

ولو سألت أحد تلاميذه وقتذاك : ما هو عملك ؟ وما هو مستقبلك مع المسيح ؟ لوقف وأوقفك معه ، أمام علامة استفهام كبيرة لا يعرف لها جواباً ، سوى حياة التسليم... يكفيه أنه سائر مع المسيح ، مع أنه معه وفي وجوده لا يعمل شيئاً... المسيح يعمل كل شيء ، وتلاميذه مجرد متفرجين .

٣ - خذوا مثالاً لذلك القديس مار مرقس الرسول حينما دخل الإسكندرية :

دخلها وهو لا يعلم إلى أين يذهب ، إذ لم تكن هناك كنيسة يستقر فيها ، ولم يكن له هناك شعب ، ولا مسكن... بل على العكس كانت الوثنية في كل مكان ، وكانت اليهودية تقاوم الإيمان... ولكن بالإيمان جاء مارمرقس إلى مصر ، وأرشد الله خطاه إلى إنيانوس ، وما كان في فكره هذا الأمر...

وما حدث لمار مرقس ، حدث تقريباً لباقي الرسل . تتنوع الأمكنة والأسماء ، ولكن قلب الموضوع واحد . وكأن كل رسول كان يقول :

لو كانت الخدمة عملاً بشرياً ، لكان يهمنى أن أعرف خطة مسيرى. أما والخدمة عمل إلهى، فلا يهمنى إلى أين أذهب. أنا مع الله. حيث قادنى أسير.

٤ - يوحنا المعمدان كان يرى أن واجبه هو أن يشهد للحق . فشهد للحق، وقال لهيرودس الملك « لا يحل لك » ولم يهتم بعد ذلك إلى أين يذهب : إلى السجن ، إلى الموت ... ليكن ما يكون. رسالة الله تتم فى طاعة إيمانية كاملة . أما الحياة ، وأما المصير، فهما مسلمان لله ... إلى التمام .

وهكذا كان بولس الرسول يشهد للرب ... وبعد ذلك لا يهمه إلى أين يذهب : « أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف » ، يقول فى ثقة بحياة التسليم « لكننا فى هذه جميعها ، يعظم انتصارنا بالذى أحبنا » (رو ٨ : ٣٥ ، ٣٧) .

بهذا الأسلوب ، سار أولاد الله جميعهم فى طريق الحياة فى حياة التسليم .

كل ما يهمهم هو أن الله يقودهم . ولكن لا يعنيهم إلى أين ... ولكنهم واثقون بالإيمان ، أنه سيقودهم إلى المراعى الخضراء ، وإلى ينابيع الماء الحى . خبرتهم مع الله تجعلهم مسرورين بقيادته ، واثقين بمحبته .

٥ - إسحق بن ابراهيم حمل الحطب وراء أبيه ، ولم يعلم إلى أين يذهب .

كل ما تعلمه فى حياته ، هو التسليم والطاعة ، وبها سار حتى إلى المذبح . وربطه إبراهيم أبوه ووضعه على المذبح فوق الحطب (تك ٢٢)، ورفع عليه السكين . كل هذا وإسحق فى تسليم كامل . لم يشك فى محبة أبيه ، ولم يشك فى محبة الله ... وانتصر على طول الخط .

بتسليمه هذا ، كسب طاعة الإيمان ، وكسب حياته ، وكسب وعود الله ...

٦ - لعازر الدمشقى لما سافر ليختار زوجة لإسحق ، ما كان يعلم إلى أين يذهب .

ولكنه سلّم خطاه لله ليرشده . ودبر الله له كل شىء بطريقة عجيبة وقف أمامها مذهولاً . وتم كل شىء حسبما طلب منه سيده ابراهيم . ولهذا قال « الرب

أنجح طريق» (تك ٢٤ : ٥٦).

ولعل لعازر الدمشقي كان يقول «لم أكن أعلم إلى أين أنا أذهب. لكني كنت أعلم تماماً أن الله ذاهب معي».

ونفس الوضع تقريباً حدث ليعقوب في رحلته إلى خاله لابان. وما أجمل قول الرب له «ها أنا معك. أحفظك حيثما تذهب» (تك ٢٨ : ١٥).

٧ ـ الشعب في البرية، أتراه كان يعلم إلى أين يذهب ؟!

ما كان يعلم شيئاً. كان الله يقوده يوماً بيوم. وكان يرتحل بإرشاد إلهي، ويقف بإرشاد إلهي. وكان هذا الإرشاد يتمثل في السحابة تظلله نهاراً، وعمود النار يهديه ليلاً... والشعب في تسليم كامل لقيادة الله، لا يسأله إلى أين...؟

وما كانت أمام موسى النبي خطة لمسيره، ولا خريطة لمسيره. وكأنه يقول:

يكفينا يارب أن تكون سحابتك فوق رؤوسنا، وعمود النار أمامنا. نحن لا نحدد مسارنا، إنما تحدده مشيئتك الصالحة. أما نحن فيسعدنا أننا تحت قيادتك. حيثما سارت سحابتك نسير. وحيثما حلت نستظل تحتها... يفرحنا أننا نرى فوق تابوت العهد الضباب الذي يمثل وجودك.

فلتتحرك خيمة الإجتماع في البرية نحو المجهول. إنه مجهول بالنسبة إلينا. ولكنه في علمك ومعرفتك منذ الأزل. وهذا يكفينا، لكي نسلّم خطانا لهذا المجهول، ونحن في ملء الثقة بأننا في طريق كنعان...

٨ ـ القديس الأنبا أنطونيوس أب جميع الرهبان، حينما دخل إلى الجبل، أتراه كان يعلم إلى أين يذهب؟! وكذلك القديس الأنبا بولا أول السوّاح...

وأيضاً كل السواح والمتوحدين حينما توغلوا في البرية الجوانية، ما كان أمامهم هدف مكاني معين يقصدونه. كل ما كان أمامهم هو الهدف الروحي وهو أن ينفردوا بالله في حياة السكون والهدوء، مسلمين حياتهم بالكلية له «تائهين في البراري والجبال وشقوق الأرض»...

تسأل كل واحد من التائهين في البراري: أتعلم أين أنت؟ فيجيبك:

على خريطة المكان، لست أعلم أين أنا...

ولكن على خريطة الحب، أعلم أنني في حضن الآب.

٩ - ولعل البعض يسأل : أما ينبغى أن يحسب كل إنسان حساب النفقة ، حسب وصية الرب نفسه (لو ١٤ : ٢٨) ؟

إن حياة الإيمان ، هى أبعد ما تكون عن علم الحساب الذى يقصدونه . إذن ما الذى يقصده الرب بأن يجلس الإنسان أولاً ويحسب النفقة ؟

حساب النفقة هو : هل عندك من الإيمان ما يكفى ؟

هل عندك من الإيمان ما تسلّم به الأمر كله لله لكى يدبره؟ إنك تفعل ما تستطيعه . ولكن هذا هو أقل المطلوب . أما العنصر الأساسى فهو إيمانك بما يفعله الله ، وتسليمك له كل الأمر...

وهذا كان منهجنا ، حينما كنا نريد أن نبنى كنيسة أو أى مشروع للخدمة والرعاية . لم يكن السؤال الأساسى هو «من أين التكاليف ؟» ، إنما كان السؤال الأساسى هو: هل الله موافق على هذا البناء أم لا ؟ فإن كان موافقاً فهو الذى سيقوم بكل تكاليفه . وما علينا إلا أن نبدأ ، ويد الله تكمل العمل معنا «وإن لم يبن الرب البيت ، فباطلاً يتعب البناءون» (مز ١٢٧ : ١) .

الإيمان هو أن تغمض عينيك ، وتبصر الله .

طالما أنت تفتح عينيك ، فأنت تسير بالحواس الجسدية . أما إن أغمضت هذه العين الجسدانية ، حينئذ سوف تسلك بالقلب والروح .

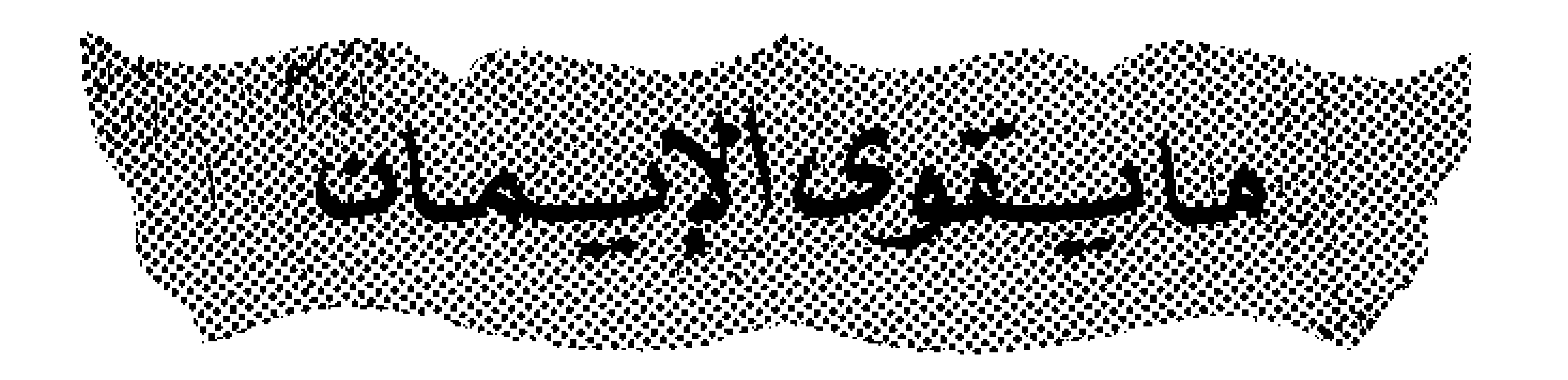
إن تأكدت بحواسك الروحية أن الله سيذهب معك فى طريق ، سر فيه ولو كان فى وادى ظل الموت . يقيناً ، هناك سوف لا تخاف شراً لأن الرب معك (مز٢٣) .

١٠ - هذه هى حياة التسليم ، التى فيها يختار الرب لنا ما نشاء ، دون أن نختار نحن لأنفسنا . آخذين درساً من قصة لوط وإبراهيم .

لوط اختار لنفسه السكنى فى سادوم ، الأرض المعشبة (تك ١٤ : ١٠ ، ١١) . وكان يعلم إلى أين يذهب . أما إبراهيم فلم يختر لنفسه شيئاً . إنما قال له الرب «إرفع عينيك وانظر... جميع الأرض التى أنت ترى ، لك أعطيها» (تك ١٠ : ١٤ ، ١٥) ... وماذا كانت النتيجة ؟ لوط سبى وهو فى سادوم وأنقذه إبراهيم (تك ١٤) . ثم احترق كل ماله فى سادوم وخسر الكل ...

وهكذا كانت حياة التسليم التى لإبراهيم ذات نتيجة أفضل ...

الفصل الثامن



٩ - إختبر إيمانك بصفات الإيمان السليم :

هل إيمانك إيمان عملى ؟ هل هو ثابت لا تزعزعه الظروف ؟ هل هو لا يضعف ولا يشك؟ هل هو مملوء بالسلام لا يعرف خوفاً؟ وهل تعرف حياة التسليم وطاعة الإيمان، وهل إيمانك إيمان حى مثمر؟ وهل هو ينمو و يزداد ؟ وهل...

لست أر يد أن أذكر باقى صفات الإيمان لتمتحن بها نفسك .

إنما إن أردت مز يداً من الموازين ، يمكن أن تعيد قراءة هذا الكتاب من أوله .

الكتاب المقبل

هناك ثلاثة كتب فى طر يقها إلى المطبعة ، وإليك :

١ - كتاب « حروب الشياطين » وهو الجزء الأول من مجموعة (الحروب الروحية) .

٢ - كتاب الجزء الثالث من سنوات مع أسئلة الناس .

٣ - كتاب « الرجاء » وهو الجزء التالى لهذا الكتاب الذى بين يديك «حياة الإيمان» . و بعدهما كتب عن (المحبة) لتكمل المجموعة .

١١ : ١٩). هذا هو «الله الذى آمن به، الذى يحيى الموتى، و يدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة» (رو ٤ : ١٧).

بالإيمان بقدرة الله على كل شيء، دخل موسى فى البحر الأحمر وعبره. ودخل يشوع فى نهر الأردن وعبره، كل منهما مع شعبه...

د ـ كذلك ينبغي أن **تثق بحكمة الله**، وبأن كل تدابيره صالحة، حتى لو كنت لم تفهم بعد أعماق هذه الحكمة...

إن آمنت بحكمة الله، تعيش فى سلام، وتقبل كل شيء برضى. أما إن كانت (حكمتك) البشرية لا تثق بحكمة الله، ستعيش فى تذمر وشكوى وتعب نفسي... لذلك فى كل ما يحدث لك، قل له: أنا واثق يارب بحكمتك وحسن تدبيرك. وإن كان فهمي الآن عاجزاً، لابد أنني سأعرف بعد حين ما قصدته بى، كما عرف يوسف الصديق.

إن ثقتك بأن الله صانع الخيرات، وأنه أب محب، وحكيم فى تدابيره، و يريد لك الخير، وقادر على ذلك... كل هذا يعمّق إيمانك، ويمنحك سلاماً فى قلبك...

هناك وسيلة أخرى لتقوية الإيمان، وهى :

٢ ـ الثقة فى صدق مواعيد الله :

لقد وعد الله أبانا ابرآم بأنه سوف يعطيه نسلاً، وأعطاه ولو بعد زمن. ووعده بأن نسله سيكون كنجوم السماء فى الكثرة، وقد كان... مع أن زوجته كانت عاقراً، وكان هو قد تقدم فى الأيام وشاخ.

ووعد الله شعبه بأنه سيرده من السبي. وردّه كما وعد.

ووعد إيليا وقت المجاعة، بأنه سيعوله. وعاله بأعجوبة (١مل ١٧ : ٣-٦).

ووعد الله أمنا حواء بأن نسلها سيسحق رأس الحية (تك ٣ : ١٥). وقد حقق هذا الوعد على الصليب فى ملء الزمان.

ووعد الله بأنه سيسكب روحه على كل بشر (يوئيل ٢ : ٢٨). وفعل ذلك فى يوم الخمسين، ومازلنا هياكل لروحه القدوس (١كو ٣ : ١٦)...

وعود الله كلها صادقة. و يعوزنا أن نتتبع وعود الله منذ القديم.

ولكن هناك وعوداً دائمة لله ، يربحنا أن نحيا فيها بالإيمان .

وذلك كقوله « ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر» (متى ٢٨ : ٢٠)، «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى، فهناك أكون فى وسطهم» (متى ١٨ : ٢٠)، «أعطيكم فماً وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها» (لو ٢١ : ١٥)، «لا تهتموا كيف أو بما تتكلمون، لأنكم تعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به. لأنكم لستم أنتم المتكلمين، بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم» (متى ١٠ : ١٩ ، ٢٠). وكذلك قوله عن الكنيسة إن أبواب الجحيم لن تقوى عليها (متى ١٦ : ١٨).

ليتنا نعيش فى هذه الوعود بكل قلوبنا ، لكى تقوى إيماننا .

وليتك أيها القارىء المحبوب تجمع كل وعود الله وتقرأها باستمرار. وتقول لنفسك: لابد أن يكون الله صادقاً فى وعوده. وبالتالى لابد أن أعيش سعيداً بهذه الوعود الإلهية... إن دوام التذكار لوعود الله، يطمئن النفس، ويقوى الإيمان...

وأيضاً مما يقوى الإيمان :

٣ ـ النظر إلى الله ، وليس إلى الظروف المحيطة :

قبيل عبور البحر الأحمر ، كل الظروف المحيطة كانت تدعو إلى اليأس . أما موسى النبى فإنه دعا الناس أن ينظروا إلى الله ، وقال لهم «قفوا وانظروا خلاص الرب... الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» (خر ١٤ : ١٣ ، ١٤).

كذلك فى حرب داود وجليات . لو نظر إلى الجبار القوى المتحدى، ليئس . لكنه بالإيمان نظر إلى الله الذى سيحبسه فى يده (١صم١٧).

نفس الوضع فى معجزة الخمس خبزات والسمكتين . لما نظر التلاميذ إلى الطعام الموجود، والآلاف المنتظرة، قالوا «ما هذا لمثل هؤلاء ؟!». ولكن المسيح نظر إلى فوق وبارك. ولو نظر التلاميذ هكذا بالإيمان إلى فوق، لاطمأنوا ورأوا قوة الله.

مرثا نظرت إلى قبر أخيها الميت منذ أربعة أيام ، فقالت قد أنتن. أما الرب فقال لها: ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله (يو ١١ : ٣٩ ، ٤٠).

إذن علينا أن ننظر دائماً إلى فوق ، فيدخل الإيمان إلى قلوبنا.

ننظر إلى الله المحب القادر على كل شيء ، ولا نركز أفكارنا فى الظروف المحيطة .

لا تنظر إلى قوة أعدائك ، إنما أنظر إلى الله الذى ينقذك منهم .

لا تنظر إلى الخطية التى «طرحت كثيرين جرحى ، وكل قتلاها أقوياء» (أم ٧ : ٢٦) ، إنما أنظر إلى الرب يسوع الذى «يخلص شعبه من خطاياهم» (متى ١ : ٢١) .

كذلك من الأمور التى تقوى الإيمان :

٤ ـ قصص الإيمان ، ومعاشرة رجال الإيمان :

وهكذا عندما أراد الله أن يعطى دروساً فى الإيمان ، قال «تأملوا زنابق الحقل... ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها» (متى ٦ : ٢٨ ، ٢٩) . فإن كان عشب الحقل... «يلبسه الله هكذا» «أفليس بالحرى يلبسكم أنتم يا قليلى الإيمان» .

وقال أيضاً « أنظروا إلى طيور السماء » . وفى إحدى المرات ، فعلت كما أمر الرب ، ونظرت إلى عصفورة فى حقل الدير... أمامها الكثير من الحبوب . ولكنها التقطت اثنتين أو ثلاثاً ، وتركت الباقى كله وطارت «لم تجمع إلى مخازن» كما قال الرب . كانت واثقة أنها فى كل مكان تحل فيه ، سيرزقها الله قوتها ، فلماذا تخزن إذن؟ أو لماذا تترك الجو العالى الفسيح ، وتقبع إلى جوار الحبوب لتخزن كما تفعل زميلتها النملة (القليلة الإيمان!) التى لا ترتفع إلى فوق...

وقد أعطانا الرب مثالاً شبيهاً فى قصة (المن) وجمعه .

كانوا يجمعونه ، على قدر حاجتهم ، يوماً بيوم ، دون أن يخزنوا ... والذين خالفوا هذه القاعدة وخزنوا مناً «تولد فيه الدود وأنتن» (خر ١٦ : ٢٠) .

كلما يقرأ الإنسان قصصاً عن الإيمان ، والثقة بالله ، والأعاجيب التى تحدث مع قديسيه ، يمتلىء قلبه إيماناً ، ويحب هذه الحياة المملوءة إيماناً... كذلك كلما يعاشر رجال الإيمان ، يتعلم منهم ، وتثيره حياتهم وعمل الله معهم ، لكى يتمثل بإيمانهم» (عب ١١ : ٧) . لذلك قال أحد الآباء «شهية هى أخبار القديسين» ...

من أجل هذا سجل لنا الكتاب سيراً من الإيمان ، لنتأثر بها ونتعلم.

ولكى تقوى إيماننا ، إذ نرى أمامنا أمثلة عملية لحياة الإيمان التى نشتهيها . ونرى أمامنا الطريق الذى سلكه رجال الإيمان . وكيف عاملهم الله ، وكيف تعاملوا هم معه... وماذا أيضاً ؟

إن كانت القراءة تؤثر ، فإن المعاشرة تأثيرها أعمق بلا شك .

لذلك عاشروا الذين يتصفون بالإيمان ، وامتصوا الإيمان منهم . فإن الإيمان يناله الإنسان بالتسليم ، أكثر مما يناله بالتعليم . أنظروا كيف يعيشون ، وكيف يظهر الإيمان فى حياتهم ، وكيف يتعاملون مع الله ، وكيف يتصرفون إزاء الأحداث...

وإن أردتم أن تقووا إيمانكم ، لابد من صفة تتصفون بها وهى :

٥ ـ إتضاع القلب والفكر :

الإنسان المتضع يقبل كل ما يأتى من الله برضى . أما الفكر المعتد بذاته فإنه يناقش ويجادل ، ويرفض ما لا يعجبه ، فلا يصل إلى الإيمان الذى يصل إليه المتضع .

الإنسان المتضع يعترف أن عقله محدود ، وكل قدراته محدودة ، ولا يمكنه أن يستوعب الله غير المحدود ، ولا يدرك أعماق حكمته وصفاته . لذلك يقبل فى إيمان ولا يشك . وإن ضغط عليه الفكر ، ينسكب أمام الله ويقول « أحكامك يارب فوق فهمى ، وأعمالك فوق معرفتى . من أنا قدامك ؟ وكل معرفتى هى جهالة أمامك .

أنا آخذ منك عن طريق التسليم ، وليس عن طريق الفحص ...

أعطنى يارب إيمان الأطفال ، وليس إيمان الفلاسفة والحكماء (لو ١٠ : ٢١) .

حادثة مثل إلقاء الثلاثة فتية فى أتون النار ، دون أن يحترقوا (دا ٣ : ٢٥) . هذه ، هل نخضعها لفهمنا المحدود ، أم نتقبلها بالإيمان فى اتضاع الفكر الذى ينحنى أمام المعجزة ؟! والمعجزة هى عمل الله القادر على كل شيء ...

الإيمان يحتاج إلى اتضاع الفكر وبساطة القلب ، وأيضاً إلى :

٦ ـ الخـــبرة مع الله :

إلق نفسك في دائرة الله . عش معه واختبره . جرب الإتكال عليه. حينئذ سترى عجائب من عمله معك. أما إن كنت طول حياتك تحصر نفسك فى دائرة إمكانيات الفكر، والذكاء البشرى، وخبرات المجتمع، ومشورات الناس، بعيداً عن الله، تأكل كل يوم من شجرة معرفة الخير والشر، فكيف تصل إذن إلى الإيمان؟!

إذن إختبر عملياً وجود الله فى حياتك. عاشره لتعرف من هو. وكما قال داود النبي «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب» (مز ٣٤ : ٨).

ولعل سائلاً يسأل : وكيف ندخل فى الخبرة مع الله ؟ أقول :

٧ ـ إبصر الله فى كل أمر :

الناس لا يقوى إيمانهم، لأنهم يعيشون فى عالم، فصلوه عن الله .

كل ما يحدث فى هذا العالم، يرجعونه إلى أسباب عديدة و لا يذكرون إسم الله كأنما الكون يدور... بدون الله .

أ ـ **مثال** : العالم يستطيع أن يحطم الذرة، و يستخدم القوة النووية، و يصنع سفن الفضاء، و يصل إلى القمر، و يدور حول الكون، و يتعامل مع الإلكترونات... و يصرخ الناس و يقولون: ما أعظم العقل البشرى! أو ما أعظم الشعب الذى اخترع كل هذه المخترعات...! ولا يذكرون إسم الله إطلاقاً...

أما المؤمن فيقول : مبارك أنت يارب الذى خلقت هذا العقل البشرى، و وهبته كل هذه الإمكانيات، وكشفت له ما وضعته فى الطبيعة من قوى... إن كان عبيدك الترابيون يعرفون كل هذا، فكم وكم تكون أنت يا غير المحدود، القادر على كل شيء؟! وهكذا يقوى إيمان المؤمن بإرجاعه كل قوة وكل عجيبة إلى الله...

ب ـ **مثال آخر** : يمرض إنسان بمرض خطير . و يستطيع طبيب أن ينقذه من الموت فيشفى. و يندهل المريض وأقرباؤه من مهارة الطبيب، و يشكرونه فى الجرائد ويمدحونه. و يعتبرونه سبب الشفاء. أما الله فلا يتردد إسمه مطلقاً على أفواههم. ولكن المؤمن يقول: نشكر الله الذى شفى المريض، وكانت يده مع يد الطبيب .

ج ـ مثال ثالث : إنسان يتعرض لحادث تصادم يكاد يودي بحياته ، لولا أن سائق العربة يوقفها بمهارة على بعد سنتيمترات من الرجل . و يصرخ الناس : يا لمهارة السائق ! بينما المؤمن يقول : لقد منح الله هذا الإنسان عمراً جديداً ...

ليتك فى كل حادث ، تبحث عن أصبع الله فيه ، ليقوى إيمانك .

إبحث عن حكمة الله وعمل الله فى كل ما يمر بك من الأحداث اليومية ، حينئذ ستجد الله كائناً أمامك كل يوم ، تلمسه وتتعامل معه ، وتشعر بوجوده فى كل ما يمر بك من صغيرة وكبيرة . وبهذا يزداد إيمانك يوماً بعد يوم .

د ـ مثال رابع : المؤمن إذا مرّ على حديقة ورأى زهرة من الزهور، لا يكتفى بالتمتع بشكلها ورائحتها كما يفعل العلمانيون... إنما يقف أمامها منذهلاً و يقول : ما هذا الجمال الذى خلقته يارب ؟! وما هذه الألوان العجيبة التى يعجز أمهر الفنانين عن أن يصنعوا مثلها... لا شك أن الزهور الصناعية جميلة ومتقنة ، ولكنها ليست فى هذا التناسق ، كما أنها لا حياة فيها ، ولا نضارة ، ولا رائحة لها . إنها جمال ميت ... !

حقاً ، إن التأمل فى الطبيعة بهذا الأسلوب ، يقوى الإيمان ...

أهل العالم يتأملون الطبيعة منفردة ، قائمة بذاتها ، وقد فصلوها عن الله . أما الذى ير يد أن يقوى إيمانه ، فإنه يرى الله فى الطبيعة... أليست هى صنعة يديه ؟... وهكذا كان داود النبى يقول « السموات تحدث بمجد الله ، والفلك يخبر بعمل يديه (مز ١٩ : ١) . أتراك تعجب بليلة قمر ية جميلة ، دون أن تمجد الله خالق القمر؟!

تذكر الله هكذا ، ليكون الله بالنسبة إليك حقيقة عملية ، وليس مجرد حقيقة عقلية تثبتها البراهين... بهذا تحيا مع الله كل يوم .

إن أردت أن يقوى إيمانك ، لا تفضل مخلوقات الله على الله .

لا تبهرك الطبيعة ، وتنسى الله خالقها . لا يبهرك العقل البشرى وتصرفه فى المادة . وإنما قل : عجيب أنت يارب ! كيف خلقت المادة هكذا ، بهذه الخاصية وبهذا المفعول ، بحيث يمكن للعقل أن يستخدمها فى كل هذه الأغراض... ! أترانا نعجب بطبيب يستخلص دواء من مادة معينة ، بينما ننسى الله الذى وضع هذه

الخاصية فى تلك المادة، حتى يمكنها أن تخدم غرض الطبيب... !

أمر آخر يمكنه أن يقوى إيمانك وهو :

٨ - إتخذ الرب صديقاً لك :

لو فعلت هذا ، لأمكن أن يقوى إيمانك ، لأنك ستكون علاقة مع الله وتتحدث معه بدالة بلا خوف ، فتتوطد صلتك به .

كثيرون ينظرون إلى الرب كمجرد إله أو سيد . ولكن هل نظرت إليه أيضاً كصديق ومحب ، تثق به وبمحبته وبإخلاصه لك . إنه يقرع على بابك ، ويطلب إليك أن تفتح له كصديق ، فيدخل ويتعشى معك وأنت معه (رؤ ٣ : ٢٠) . إن قبلت صداقة الله ومحبته ، ستدخل فى الإيمان الحقيق... تشتاق إلى رؤياه كصديق ، وتحكى له أسرارك ، وتتمتع بعشرته ومحبته... وتحرص كصديق له ألا تخدش شعوره أو تغضبه . وهو نفسه سيكشف لك أسراره ، كما كشف لإبراهيم (تك ١٨ : ١٧) .

إن الله يريدك هكذا ، لأنه قال « لا أعود أسميكم عبيداً ... بل أحباء » (يو ١٥ : ١٥)... إتخذه إذن كصديق أو كأب ، تؤمن بأبوته ومحبته ، كما تؤمن بسلطانه وقدرته . تحدثه عن أسرارك ، ويحدثك عن أسراره .

من قصص الصداقة والصراحة مع الله ، مسح إيليا لأليشع نبياً .

قال الرب يوماً لإيليا النبى العظيم إذهب « إمسح ياهو بن نمشى ملكاً على اسرائيل... وامسح أليشع بن شافاط ، نبياً عوضاً عنك » (١مل ١٩ : ١٦) .

لم يقل إيليا : حسناً يارب أن أمسح ياهو ملكاً . ولكن كيف أمسح نبياً عوضاً عنى؟ وهل استغنيت عن خدماتى؟ هل يحدث هذا بعد تعبى الكثير من أجلك ، وبعد وقوفى ضد آخاب الملك وزوجته إيزابل ، وبعد تخليصى البلاد من كل أنبياء البعل وأنبياء السوارى ؟ ... هل تغيرت محبتك لى ؟!

لم يقل شيئاً من هذا ، ولم يشك فى محبة الله ، بل فعل كما أمره ، واثقاً من محبة الله ومن حكمته . بل اعتبرها دالة وصداقة بينه وبين الله ، بها يشركه الله معه فى تنفيذ الخطة الإلهية ، حتى لو كان منها مسح نبى عوضاً عنه . فهذا لا يدل على أن الصداقة بينه وبين الله قد انتهت أو نقصت .

بدليل أن الله رفعه إليه إلى السماء فى مجد (٢ مل ٢ : ١١) . وبدليل أنه

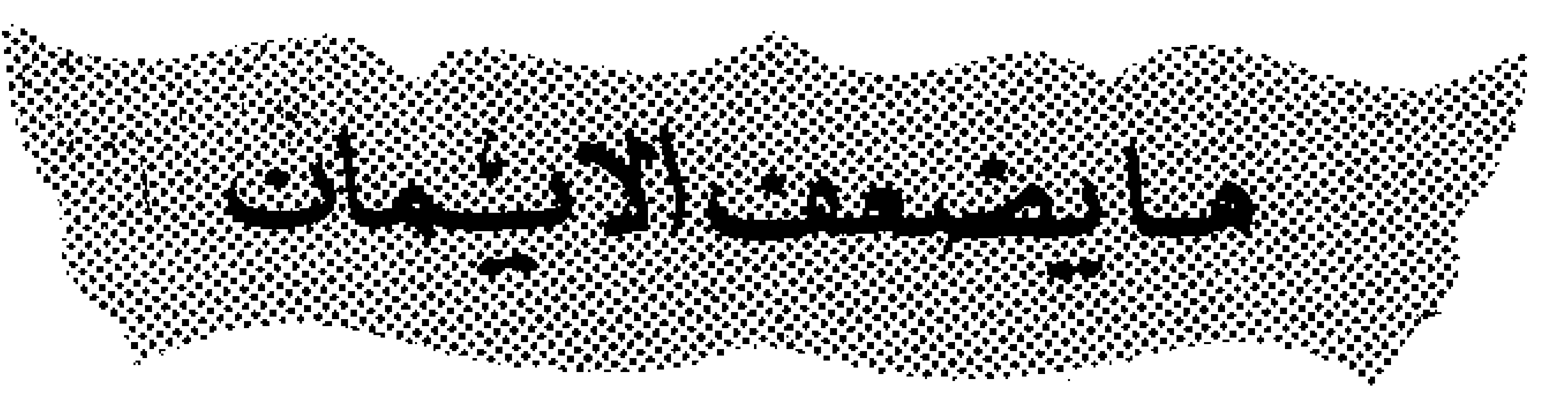
ظهر معه بعد زمن على جبل التجلى يتحدث إليه (٩ : ٤). إنها الحبة التي يصارحه بها الله، حتى فى الأمور التى تمسه. وكان مسح نبى عوضاً عنه، متدمه لترقيته إلى حالة أفضل، هى أعظم من نبى...

٩ ـ صلاة لأجل الإيمان :

أطلب من أجل إيمانك فى صلاتك، لكى ينمو و يزداد.

قل له : إعطنى يارب أن أؤمن بك الإيمان كله . إعطنى أن أحبك وأثق بك فى كل شيء، وأؤمن أنك تفعل بى خيراً مهما كانت الدنيا مظلمة أمامى. إشعرنى بأن عقلى أصغر بكثير من أن يفهم حكمتك وأحكامك. أنا أعرف أنك صانع الخيرات، وأنك محب، وأنك ترى كل شيء، وقادر على كل شيء. ومع ذلك كثيراً ما أضعف... فأعن ضعف إيمانى...

الفصل التاسع



الشيطان يعمل باستمرار، وبكل جهده، على إضعاف إيمان المؤمنين.

ويحاول هو وأعوانه أن يضلوا ولو أمكن المختارين أيضاً» (متى ٢٤ : ٢٤). ولا يكفى هؤلاء مجرد إضعاف الإيمان، بل يحاولون أن يوصلوا فريستهم حتى إلى الإرتداد. وهكذا فى آخر الأيام يرتد كثيرون عن الإيمان «تابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين» (١تى ٤ : ١). وما أخطر قول الكتاب فى المجىء الثانى للمسيح «ولكن متى جاء ابن الإنسان، ألعله يجد الإيمان على الأرض؟!» (لو ١٨ : ٨).

فما هى وسائل الشيطان فى إضعاف الإيمان؟ إنها كثيرة: بعضها عنيف جداً، وبعضها هادىء قد لا يحسه أحد:

١ - الــــذات:

كثيراً ما تقف الذات ضد الله، وترفضه لأنه ضد رغباتها الخاطئة:

تشعر الذات أن الله يحد حريتها، التى تشتهى أشياء لا يوافق الله عليها. فلكى تتمتع بهذه (الحرية) أو بهذا التسيب، تنفصل عن الله، كما انفصل الإبن الضال عن بيت أبيه (لو ١٥ : ١١- ١٤)، لكى ينفق ماله حسب هواه... أو ترفض الله. ولعل الوجوديين الملحدين من أمثلة الرافضين لله. وهؤلاء صار شعارهم هو:

من الخير أن الله لا يوجد، لكى أوجد أنا ...

وهؤلاء قد أخطأوا فَهم المعنى الحقيق للوجود، والمعنى الحقيقى للحرية. فليست الحرية هى أن يفعل الإنسان ما يشاء، فقد تكون مشيئته خاطئة. إنما الحرية الحقيقية هى أن يتحرر الإنسان من كل شىء يشينه... يتحرر من العادات الرديئة التى تستعبده، ومن الشهوات الدنسة التى تنجسه. ويتحرر من سيطرة المادة عليه، هذه التى تمنع روحه من إنطلاقهـــا ومن العشرة مع الله التى هى الوجود الحقيق...

ومن معوقات الذات للإيمان، رغبة الإنسان فى الشعور بذاته، فى القوة والعظمة والكبرياء... وهنا يرى الله منافساً له...

وهكذا وجد هيرودس أن مولود بيت لحم سينافسه الملك، فرفض الإيمان

به، وحاول أن يتخلص منه بقتله... وكان من أمثال هيرودس أيضاً : الكتبة والفريسيون، الذين رأوا أن المسيح قد أخذ مكانتهم وشعبيتهم كمعلم. فقال بعضهم لبعض «أنظروا، إنكم لا تنفعون شيئاً. هوذا العالم قد ذهب وراءه» (يو ١٢: ١٩). ومن أجل الذات أيضاً رفض كل هؤلاء الإيمان بقيامة المسيح، لئلا تكون دليلاً يجلب عليهم دم ذلك البار (أع ٥: ٢٨)... إن الذات من أكبر معرقلات الإيمان، لذلك قال الرب:

« من أراد أن يتبعني ، فلينكر ذاته ... » (متى ١٦ : ٢٤) .

وقال أيضاً « من وجد حياته يضيعها . ومن أضاع حياته من أجلي يجدها » (متى ١٠: ٣٩). وهكذا نجد أن القديس بولس الرسول، من أجل الإيمان يقول «لست أحتسب لشيء، ولا نفسي ثمينة عندي» (أع ٢٠: ٢٤)، «بل أني أحسب كل شيء أيضاً خسارة، من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي، الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية، لكي أربح المسيح وأوجد فيه» (في ٣: ٨، ٩). فهل أنت كذلك؟ أم...

هل إيمانك يتعطل بسبب ذاتك ؟ بسبب رغباتك وغرائزك وأفكارك وشهواتك ؟!

هل هناك تعارض بين الله وذاتك ؟ إن كان كذلك ، إنكر ذاتك . قاومها . إنتصر عليها . لأن مالك روحه خير من مالك مدينة (أم ١٦: ٣٢).

إن الكتبة والفريسيين والكهنة والشيوخ ، كانوا يحرصون على ذاتهم حرصاً خاطئاً. كانت في ذات كل منهم عيوب، وكان المسيح يكشفها، حتى دون أن يتكلم عنها. بمجرد المقارنة تنكشف. لذلك كانوا يكرهونه، ولم يؤمنوا به، لأنه نور يهتك ظلمتهم... ووقفت ذاتهم ـ التي تود أن تتغطى ـ عقبة في طريق إيمانهم.

لا ننس أن الشيطان نفسه ، كانت ذاته سبباً في ضياع إيمانه .

وذلك حين فكر كيف تكبر هذه الذات ... كيف يصعد إلى السموات ، ويرتفع فوق كواكب الله، ويصير مثل العلي (اش ١٤: ١٤). فوقفت (عظمة) ذاته ضد الإيمان بالله. أما الملائكة الأطهار فاحتفظوا بمكانتهم، لأنهم في إيمانهم بالله حسبوا أنفسهم «خدامه العاملين مرضاته» (مز ١٠٣: ٢١).

كثيرون أنفسوم جميلة فى أعينهم . ذاتهم هى صنمهم .

يمنعهم عن حياة الإيمان : محبة الذات ، والإعتداد بالذات ، والرغبة فى تكبير الذات ، وتفخيم الذات ، وتحقيق شهوات الذات ، والهروب من كل من يكشف هذه الذات أو يظهر مساوئها... وهكذا يريدون أن تحيا ذاتهم فى جو من التدليل والمجاملة والمديح . يتضايقون من كل كلمة صريحة ومن كل تأنيب وكل تأديب . فكيف يمكنهم أن يحيوا فى الإيمان ؟!

إن كنت كذلك أصلح ذاتك لكى تتضع أمام الله ، فتحيا فى الإيمان ...

كذلك من الأمور التى تضعف الإيمان :

٢ ـ سيطرة الحواس :

وفى هذا وقع القديس توما الرسول ، حينما رفض الإيمان بقيامة الرب ، وقال «إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير، وأضع أصبعى فى أثر المسامير، وأضع يدى فى جنبه ، لا أؤمن» (يو ٢٠ : ٢٥) وقد تنازل الله لضعف توما ، وسمح له أن يتأكد بحواسه قائلاً له «ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً» ، ووبخه قائلاً «لأنك رأيتنى ياتوما آمنت ؟! طوبى للذين آمنوا دون أن يروا» (يو ٢٠ : ٢٧ ، ٢٩) . هذا الذى يبصره الإنسان ، نسميه عياناً لا إيماناً . ولكنه قد يؤدى إلى الإيمان...

أهذا إيمان ضعيف ؟ هناك ما هو أسوأ : أى الذى يرى ولا يؤمن .

مثال ذلك : الكهنة الذين رأوا القبر الفارغ ولم يؤمنوا بالقيامة . والكتبة والفريسيون الذين رأوا معجزات المسيح كشفاء المولود أعمى وإقامة الموتى ولم يؤمنوا . هؤلاء رافضون للإيمان لأسباب فى قلوبهم . وينطبق عليهم قول أبينا ابراهيم لغنى لعازر «ولا إن قام واحد من الموتى يصدقون» (لو ١٦ : ٣١) .

٣ ـ إخضاع الإيمان للعقل :

وقد قلنا قبلاً إن العقل له حدود لا يتعداها ، وإن الإيمان مستوى أعلى منه . ولكن هناك أشخاصاً يريدون أن تعى عقولهم اللا محدود ، والمعجزات ، وما هو فوق إدراكهم ، وإلا فإنهم يرفضون كل هذا !... يريدون أن تخضع اللاهوتيات كلها للفحص العلمى... وهذا غير ممكن منطقياً . وليس من العقل ، أن يخضع غير المحدود

للعقل، الذى هو محدود!

ولعل من أمثلة هذا فى أيامنا ما يعرف فى بعض المعاهد باسم علم اللاهوت الجديد New Theology حيث يريدون إخضاع الوحى والمعجزة للبحث العلمى البحت، أو لمجرد التفسير الرمزى. وبهذا ينكرون كثيراً من المعجزات ومن قصص الكتاب، ويدخلونها فى علم الأساطير Mythology !! حقاً إن العقل يضل، إذا حاول أن يرتئى فوق ما ينبغى له أن يرتئى (رو ١٢: ٣). وبهذا ينحرف عن الإيمان، ويحاول أن يقود غيره فى نفس الإنحراف.

٤ - معاشرة الشكاكين:

كما أن معاشرة رجال الإيمان تقوى الإيمان، كذلك معاشرة الشكاكين تغرس الشك فى العقول والقلوب، إن كانت بمداومة، أو من النوع العميق التأثير، أو كان المستوى الخاضع للشكوك أقل فى المعرفة أو المستوى العقلى، أو كان غير عميق فى الإيمان.

ولهذا فإن الكتاب يمنع من مخالطة المنحرفين فى إيمانهم وفى أفكارهم.

يقول القديس يوحنا الرسول «إن كان أحد يأتيكم ولا يجيء بهذا التعليم، فلا تقبلوه فى البيت، ولا تقولوا له سلام. لأن من يسلم عليه يشترك فى أعماله الشريرة» (٢يو ١٠، ١١). وهكذا منعت الكنيسة الخلطة بالهراطقة والمبتدعين...

وكم من أناس خالطوا جماعات غير مسيحية مثل شهود يهوه والسبتيين، فكانت النتيجة أنهم انحرفوا فى تياراتهم. وكم من أعضاء فى الكنيسة خالطوا طوائف غريبة أو ملحدين، فتأثرت معتقداتهم بهم إلى حد بعيد.

وحتى من جهة السلوك والروحيات، مخالطة الشكاكين تضعف الإيمان:

قد تحدث لك تجربة أو مشكلة وتقبلها فى إيمان، وتسلم الأمر لله شاكراً إياه على كل حال. ثم يزورك شخص قليل الإيمان، فيظل يشرح لك خطورة الموضوع، ويخيفك جداً من نتائجه، حتى تفقد سلامك القلبى، ويضعف إيمانك فى حفظ الله وتقلق...

لذلك كن حريصاً جداً فى اختيار من تعاشرهم وتختلط بأفكارهم.

وهذا يقودنا إلى نقطة أخرى تضعف الإيمان وهى:

٥ ـ الإنقياد وضعف الشخصية :

من هذا النوع ، مريم المجدلية : لقد رأت القبر الفارغ ، وسمعت بشارة الملاك ، بل إنها رأت السيد المسيح نفسه بعد قيامته ، وأمسكت بقدميه ، وسمعت صوته ، وكلفها برسالة... ولكنها مع ذلك قالت ثلاث مرات «أخذوا سيدى ، ولست أعلم أين وضعوه» (يو ٢٠ : ٢ ، ١٣ ، ١٥) . وفى هذا إنكار للقيامة . فما السرّ فى هذا التحول ؟ وكيف ضعف إيمانها بعدما رأت المسيح وكلمته ؟ (مر ١٦ : ٩ ، مت ٢٨ : ٩)

كانت المجدلية صغيرة فى سنها . وقد ضعفت شخصيتها أمام الشائعات التى نشرها كهنة اليهود ضد القيامة . كما ضعفت أمام عدم تصديق التلاميذ أولاً للقيامة (مر ١٦ : ١١ ، ١٣ ، ١٤) . فبدأت تلعب بها الشكوك والأوهام ، ورددت بفمها ما سمعته من شائعات .

لم يستطع إيمان المجدلية أن يصمد أمام الشائعات وكلام الناس ...

فاهتزت من الداخل بسبب التأثير الخارجى الضاغط ، وانقادت إليه ... !

وكثير من الناس يهتزون من الداخل ، و يتحولون عن إيمانهم الأول ، عقيدة أو سلوكاً ، بسبب استهزاء الناس . و بسبب أن شخصيتهم أضعف من أن تصمد .

إن الله ير يد أن تكون شخصياتكم قو ية . وكما يقول الرسول :

مستعدين كل حين ، لإجابة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذى فيكم» (١بط ٣ : ١٥) . إن أولاد الله لا يليق بهم أن يكونوا ضعفاء ، من النوع الذى يهتز إيمانه ، أو تهتز روحياته ، و ينقاد لأى فكر خارجى . بل إنهم يعملون بقول الرسول «إذن يا إخوتى الأحباء ، **كونوا راسخين غير متزعزعين ...**» (١كو ١٥ : ٥٨) .

أيضاً من النوع الذى تحول عن إيمانه بسبب الإنقياد : **أمنا حواء** . فالكلام الذى سمعته من الحية ، جعلها تتحول عن إيمانها ، و ينتهى الأمر بطردها من الجنة !

ما أكثر الذين ينقادون وراء الشائعات و يصدقونها . وما أكثر من يرددون كلاماً عن المجىء الثانى و يصدقه الناس . و يقولون إن (المسيح الدجال) Anti Christ قد وُلد ، وأنه فى ولاية بأمر يكا ، وأن عمره الآن ١٧ سنة !! وأن العالم سينتهى فى هذه

السنة أو غيرها !! وما أكثر التواريخ التي حددها شهود يهوه والسبتيون عن المجيء الثاني ، ولم يتم منها شيء...

وقد يضعف إيمان البعض وينقادون وراء من يدّعى الرؤى والأحلام .

ويظنون أن ما يدعيه من الرؤى والأحلام ، كلها حقيقية ومن الله ! ثم ينخدعون بما يقوله من كلام ، ولو ضد معتقداتهم أو مبادئهم الروحية . ولقد حذّر الرب من هؤلاء منذ أيام موسى النبي فقال :

« إذا قام فى وسطك نبي أو حالم حلماً ، وأعطاك آية أو أعجوبة ، ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمك عنها ، قائلاً : لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها ونعبدها . فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم . لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكى يعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم... » (تث ١٣ : ١-٣) .

إن الإنقياد من الأسباب التي تضعف الإيمان . وكذلك من أسبابه :

٦ ـ الخـــــوف :

الخوف يضعف الإيمان . وضعف الإيمان يؤدى إلى الخوف .

القديس بطرس ، الرسول العظيم ، لما خاف أنكر المسيح ، وسب ولعن وحلف أنه لا يعرف الرجل (متى ٢٦ : ٧٤) . وهكذا ضعف إيمانه . بل قال له المسيح قبلها « طلبت من أجلك لئلا يفنى إيمانك » (لو ٢٢ : ٣٢) .

وكثيرون فقدوا إيمانهم بسبب خوفهم . ولهذا فإن سفر الرؤيا وضع الخائفين فى مقدمة الهالكين فقال « وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون... فنصيبهم فى البحيرة المتقدة بالنار والكبريت » (رؤ ٢١ : ٨) . ووضعه الخائفين قبل غير المؤمنين ، ربما المقصود بها الخائفين الذين بسبب خوفهم يصيرون غير مؤمنين .

بيلاطس البنطى ، كان مؤمناً فى أعماقه أن يسوع الناصرى برىء من التهم التى ألصقها به اليهود . وكان واثقاً أنهم أسلموه حسداً . وقد حاول أن يطلقه . وقال عنه « هذا البار » ... ولكنه أخيراً استسلم لضعفه ، وأسلم المسيح للصلب ، إذ خاف أن يقال عنه إنه ضد قيصر...

أما الإنسان الروحي ، **فهو لا يفقد إيمانه إطلاقاً** ، لأنه لا يخاف ....

ومن الأمور التي تضعف الإيمان أيضاً :

٧ ـ الشـــــهوة :

كثيرون فقدوا إيمانهم بسبب الشهوة . ولعل من أمثلتهم **ديماس** مساعد بولس الرسول في الكرازة والتبشير، الذي قال عنه القديس بولس أخيراً « ديماس قد تركني ، لأنه أحب العالم الحاضر» (٢تى ٤ : ١٠) . ومحبة العالم تضعف الإيمان ، لأنها عداوة لله (يع ٤ : ٤) .

ومن أمثلة الذين فقدوا إيمانهم بسبب الشهوة : **الشاب الغني ...**

هذا ترك المسيح « ومضى حزيناً لأنه « كان ذا أموال كثيرة » (متى ١٩ : ٢٢) . إذن شهوة المال يمكن أن تضعف الإيمان :

وما أكثر الذين تركوا المسيح من أجل إمرأة أو منصب ...

شهوة النساء ضيعت إيمان سليمان الحكيم ، أحكم أهل الأرض ...

وذلك أنه « أحب نساء غريبة » (١ مل ١١ : ١) . وكان في زمان شيخوخة سليمان و أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى . ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه . فذهب سليمان وراء عشتاروت الهة الصيدونيين ، وملكوم رجس العمونيين . وعمل سليمان الشر في عيني الرب ...» (١مل ١١ : ٣-٦)... إلى هذا الحد سقط هذا الحكيم العظيم ، ولو أننا نؤمن أنه تاب في أواخر أيامه . وكان سفر الجامعة من دلائل توبته .

وشهوة المال أضاعت إيمان حنانيا وسفيرا ، فهلكا .

فوقعا في « الكذب على الله » (أع ٥ : ٤) ، وأيضاً في «تجربة روح الرب» (أع ٥ : ٩) . ومات الإثنان هالكين...

وشهوة المال أيضاً ضيّعت إيمان بلعام . وكان نبياً وله نبوءات جيلة عن المسيح (عدد ٢٢ ـ ٢٤) . وأخيراً وقع في ضلالة لأجل أجرة الإثم» (٢بط ٢ : ١٥) . وهكذا كان معثرة لكل الشعب ، وعلّم بالاق طريق الخطية (رؤ ٢ : ١٤)... فهلك وأهلك غيره...

وشهوة العظمة والتقدم على الآخرين ، أضاعت إيمان كثيرين :

لعل من بين هؤلاء « ديوتريفس » الذى كان « يحب أن يكون الأول » . لذلك قاوم القديس يوحنا الحبيب ، وطرد إخوة كثيرين من الكنيسة (٣يو١٠) .

وشهوة الألوهية ضيعت إيمان كاروب عظيم ، فتحول إلى شيطان ، وكان من قبل ملاكاً من نور ، له بهاء ومجد ...

إن الشهوات من أكبر الأمور التى تضعف الإيمان أو تضيعه .

ومن الأسباب التى تضعف الإيمان ، الضيقات وضغط الظروف الخارجية .

٨ ـ الظروف الخارجية :

ولعل من أمثلة هذا الأمر **جدعون** لما ضعف إيمانه فى عناية الله : قال له الملاك « **الرب معك يا جبار البأس** . فقال له جدعون : أسألك يا سيدى إذا كان الرب معنا ، فلماذا أصابتنا كل هذه (البلايا) ؟ وأين كل عجائبه التى أخبرنا بها آباؤنا ... والآن قد رفضنا الرب وجعلنا فى كف مديان » (قض ٦ : ١٢ ، ١٣) .

وهكذا قد تضعف الإيمان الضيقة إذا طالت ، أو إذا اشتدت .

التلاميذ لما اشتدت عليهم الأمواج فى السفينة ، ضعف إيمانهم وشكوا قائلين للرب « أما يهمك أننا نهلك » (مر ٤ : ٣٨-٤٠) .

وبنو اسرائيل لما طالت بهم المدة فى عبودية فرعون ، صغرت نفوسهم وضعف إيمانهم فى الخلاص (خر ٤ : ١) .

هناك سبب خطير آخر يسبب ضعف الإيمان ، وهو :

٩ ـ ضلالات الشياطين :

ومن هذه الضلالات : الرؤى الكاذبة . فإن الشيطان ـ لكى يخدع البشر ـ يستطيع أن « **يغيّر شكله إلى شبه ملاك نور** » (٢كو ١١ : ١٤) . بل يستطيع أن يقدم عجائب كاذبة كما قيل عن المقاوم ضد المسيح فى آخر الزمان « الذى مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة **وبآيات وعجائب كاذبة ، وبكل خديعة** الإثم فى الهالكين » (٢تس ٢ : ٩ ، ١٠) . وقال الرسول إن كل هذا سوف يسبب الإرتداد قبل مجىء

المسيح (٢تس ٢ : ٣)، أى ضياع الإيمان بسبب هذه الضلالات الشيطانية التى تخدع الناس.

إن الشيطان قد يخدع الناس بأحلام وبنبوءات كاذبة، وبأفكار ضلالات وبدع، لكى يحطم الإيمان فى قلوبهم... بل قد يرسل إليهم «مُسحاء كذبة وأنبياء كذبة. ويعطون آيات عظيمة وعجائب (متى ٢٤ : ٢٤)**. وقد يقول لهم هذا هو المسيح.** ولذلك سبق الرب فأنذر وقال «إن قال لكم أحد: هوذا المسيح هنا أو هناك، **فلا** تصدقوا» (متى ٢٤ : ٢٣).

وكل هذا يحتاج إلى إفراز، وكما قال الرسول «**لا تصدقوا كل روح. بل إمتحنوا الأرواح هل هى من الله.** لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم» (١يو ٤ : ١).

ومن الأشياء الأساسية التى تحارب الإيمان:

١٠ ـ الشـــك:

الشك يضعف الإيمان. وضعف الإيمان يولد الشك...

تماماً كما قلنا عن الخوف. وكلاهما يسبب الآخر، أو ينتج عنه.

أ ـ وكان الشك من الحروب التى حارب بها الشيطان أبوينا الأولين ليضيع إيمانهما. فقال لها «أحقاً قال لكما الله...؟! كلا، لن تموتا» (تك ٣ : ١ ـ ٤).

فإن حاربتك الشكوك من جهة وجود الله أو بعض العقائد الأساسية، فلا تخف. هذه محاربات من العدو، وليست إنكاراً منك للإيمان. وبخاصة إن كان قلبك رافضاً لها. لذلك فى مثل هذه الحالات يجب أن تصلى لكى يرفع الرب عنك هذه الحروب. وأن تغير مجرى تفكيرك، بأن تنقل أفكارك إلى موضوع آخر تنشغل به.

أما إن كانت الشكوك منك، وأنت مقتنع بها، فعليك أن تعالجها بفهم إيمانى سليم، بسؤال المتخصصين فى اللاهوت، وبقراءة الكتب المفيدة فى موضوعك.

على أن هناك حروباً أخرى للشك أخف من هذه، نذكر منها:

ب ـ الشك فى معونة الله، أو فى أن الله قد تخلى عنك.

إن الرب يوبخ على هذا الشك قائلاً «**يا قليل الإيمان، لماذا شككت**» (متى

١٤ : ٣١) . وهنا يربط بين الشك وقلة الإيمان . لأن الإنسان القوى الإيمان لا يمكن مطلقاً أن يشك فى محبة الله ورعايته .

ولكن الضيقات الكثيرة المستمرة ، قد تضغط على القلب أحياناً فيقول : **« لماذا يارب تقف بعيداً ، لماذا تختفى فى أزمنة الضيق »** (مز ١٠ : ١) .

إنه عتاب ، وليس ضعفاً فى الإيمان . وقد يبدو للمرتل أن الرب يقف بعيداً . ولكنه يرقب بكل حب ، وبكل حرص على سلامة أولاده . كالنسر الذى يعلم فراخه الطيران ، وكالأب الذى يعلم إبنه العوم . يتركه قليلاً ليتدرب و يكتسب خبرة . و يرقبه بكل حرص . فإن رأى خطراً يحيق به ، يسرع إلى حمله وإنقاذه .

هناك أيضاً مثال الأم التى تعلم إبنها المشى . فتتركه ليقوم و يسقط وتشتد عظامه وتقوى عضلاته و يتعلم . أما إن كانت فى كل صرخة منه ، تسرع وتحمله على كتفها فإنها بهذا ستضره . لأنه لن يتعلم ، ولن تقوى عظامه كما ينبغى ...

إن أزمنة الضيق ، هى مدرسة لنا ، نتدرب فيها على الصلاة والتمسك بالله . ونتدرب فيها على الإيمان ، ونرى فيها كيف أن الله يعمل ، وبقوة ...

و يقيناً أن الله يعمل ، مهما كنت لا تراه ولا تلمس عمله .

إن الإنسان قد يشك إن نظر فقط إلى المتاعب ، وليس إلى الله . وهكذا نرى أن بطرس قد شك حينما نظر إلى الماء الذى تحت قدميه ، ولم ينظر إلى المسيح الذى يمسك بيديه . وإذ هبط إيمان بطرس ، هبط هو أيضاً إلى الماء ، ولكن إلى لحظة ، وأنقذه الرب .

قد يكون أولاد الله « كحملان وسط ذئاب » ، ولكنهم لا يشكون ولا يخافون . فمادام الراعى الصالح وسط الحملان ، فلن تقوى عليهم الذئاب ولا حتى الأسود .

إن أبانا ابرآم لم يشك فى محبة الله وعنايته ، على الرغم من صعوبة الأمر الصادر اليه بتقديم إبنه اسحق محرقة . وكأنه يقول :

إن قلبى ليس أحن من قلب الله على إبنى إسحق ،

ولا أنا أستطيع أن أدبر مستقبل إسحق كما يدبره الله ،

فمادام الرب موافقاً على شىء ، فلا بد أن أوافق أنا عليه أيضاً بالضرورة ، لأنى

لست فى حكمة الله ولا فى محبته . لتكن إذن مشيئته .

إن الذى لا يشك ، يعيش دائماً فى راحة وفى سلام .

يحيا دائماً مطمئناً ، لا تتعبه العوامل الخارجية . ولا يفرض على الله حلولاً معينة ، يتضايق إن لم ينفذها الله ! بل هو يرضى بكل حل يأتى من عند الله حسب وافر حكمته الإلهية .

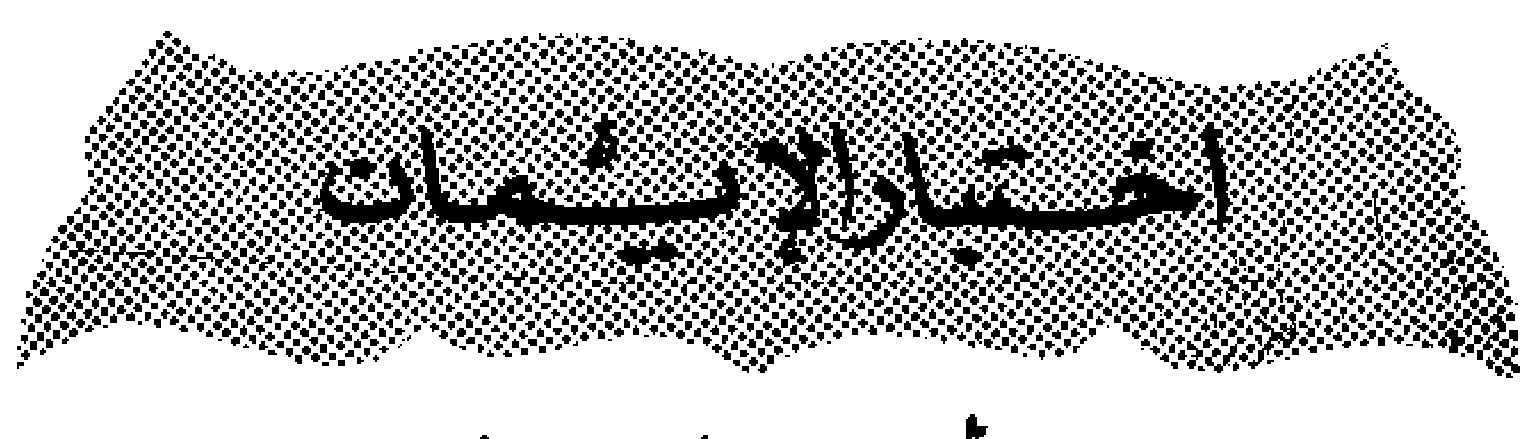
ما أكثر المتاعب التى تولدها الشكوك فى القلب وفى الفكر ... مثل القلق والخوف والإضطراب وقلة المحبة . مجرد الشك نفسه هو تعب . نار تحرق ...

الشك يعالج بالثقة ويعالج بالحب . فمن يحب شخصاً لا يشك فيه . وهكذا نحن مع الله ، لا نشك فيه ، لأننا نحبه ونثق به . وإيماننا به لا يسمح لنا مطلقاً أن نشك فى معاملاته الإلهية لنا ، وفى معاملاته الأبوية لنا . مبارك هو فى كل ما يعمله .

إن الإيمان يقتل الخوف والشك . والخوف والشك قد يقتلان الإيمان .

تمسك إذن بإيمانك ، لأنه هو العنصر الأقوى ، وهو العنصر المنتصر دائماً . حينئذ سوف تحيا فى فرح وسلام واطمئنان ، بلا خوف ، بلا شك ، كل أيام حياتك .

الفصل العاشر



هل أنتم فى الايمان

« جربوا أنفسكم : هل أنتم فى الإيمان ؟
إمتحنوا أنفسكم » (٢ كو ١٣ : ٥) .

هناك طرق كثيرة لاختبار الإيمان ، يمكن استنتاجها من كل ما سبق . ونريد أن نقول ههنا إن الرسول -فى حياة الإيمان- لا يتكلم عن مجرد الإيمان، أى الإعتراف باسم الرب، وإنما يذكر بالتخصيص:

١ - الإيمان العامل بالمحبة (غل ٥ : ٦) :

إختبر إذن إيمانك بالمحبة حسبما شرحها الرسول فى (١ كو ١٣) ...

المحبة تتأنى ، وتترفق ، ولا تحسد ، ولا تتفاخر ، ولا تنتفخ ، ولا تقبّح ، ولا تطلب ما لنفسها ، ولا تحتد ، ولا تظن السوء ، ولا تفرح بالإثم... وتحتمل كل شىء ، وتصدق كل شىء ، وترجو كل شىء ، وتصبر على كل شىء » (١ كو ١٣ : ٤-٧) .

فهل توجد فيك كل هذه الصفات ، ليكون إيمانك سليماً ؟ لقد قال الرسول «إن كان لى كل الإيمان حتى أنقل الجبال ، ولكن ليست لى محبة ، فلست شيئاً » (١ كو ١٣ : ٢) . بهذه المحبة يمكنك أن تختبر إيمانك...

بل إنك تختبر الإيمان بالأعمال عموماً .

٢ - تختبر الإيمان بالأعمال عموماً :

ذلك لأن الرسول يقول « وأنا أريك بأعمالى إيمانى » (يع ٢ : ١٨) . فبالأعمال تختبر إيمانك هل هو إيمان حى أم ميت لأن « الإيمان بدون أعمال ميت » (يع ٢ : ٢٠) . والإيمان الميت لا يقدر أن يخلص أحداً (يع ٢ : ١٤) .

والقديس بولس الرسول أكثر من تحدث عن أهمية الإيمان ، نراه يقول :

« يعترفون بأنهم يعرفون الله ، ولكنهم بالأعمال ينكرونه » (تى ١ : ١٦) .

وفى رسالته الأولى إلى تيموثاوس يشدد كثيراً على هذه النقطة ، فيقول إن «الذى لا يعتنى بخاصته... قد أنكر الإيمان وهو شر من غير المؤمن» (١تى ٥ : ٨) . وإن الأرامل اللائى رفضن نذر البتولية قد «رفضن الإيمان الأول» (١تى ٥ : ١٢) . وإن الذين يحبون المال ، قد «ضلوا عن الإيمان» (١تى ٦ : ١٠) . وإن

المهتمين بالكلام الباطل الدنس «قد زاغوا من جهة الإيمان» (١تى ٦: ٢١).

إذن سلوك الإنسان يمكن أن يكون اختباراً لإيمانه .

هوذا القديس يوحنا الرسول يقول « من قال قد عرفته ، وهو لا يحفظ وصاياه ، فهو كاذب وليس الحق فيه» (١يو ٢: ٤)، «من قال إنه ثابت فيه، ينبغى أنه كما سلك ذاك يسلك هو أيضاً» (١يو ٢: ٦). وبهذا نقول :

٣ - نختبر إيماننا بنقاوة القلب :

ولماذا ؟ لأن الذى يؤمن أن الله كائن أمامه ، وأن الله قدوس يكره الخطية ، وأنه عادل يجازى كل إنسان حسب أعماله، هذا يخاف أن يخطىء أمام الله ، و يستحى أن يخطىء ، كما يستحى أن يجرح قلب الله المحب ، إن كان يؤمن بمحبة الله .

هوذا الرسول يقول **« كل من يخطىء ، لم يبصره ولا عرفه »** (١يو ٣: ٦).

يقيناً إن الذى يخطىء، لا يكون فى فكره أثناء الخطية أن الله يرى ويسمع و يسجل... ويقيناً إن الذى يظلم، لا يكون مؤمناً تماماً أن هناك إلهاً موجوداً «يحكم للمظلومين» (مز ١٤٦: ٧). ولذلك إذا قيل لظالم «ربنا موجود» يخاف و يرتعش .

ويقيناً إن المتكبر ، أو المنتفخ بالمديح ، لا يشعر مطلقاً أنه قائم أمام الله . إن هيرودس لما خاطب الشعب ومدحوه قائلين « هذا صوت إله، لا صوت إنسان» فابتهج بهذا المديح، لم يكن عنده إيمان أن الله أمامه، لذلك «ضربه ملاك الرب، لأنه لم يعط مجداً لله . فصار يأكله الدود ومات» (أع ١٢: ٢١-٢٣).

المؤمن الحقيقى يمكن اختباره أيضاً بالزهد وعدم اشتهاء الأمور التى فى العالم، فالمؤمنون مكتفون بما هم فيه (فى ٤: ١١).

وبالنسبة لاحتياجاتهم ، لا يحتجون على شىء ، ولا يحتاجون إلى شىء .

نقطة أخرى فى حياة الإيمان هى :

٤ - يُختبر الإيمان بما يمنحه من قوة :

هل لديك قوة الإيمان التى تشعر بها أن كل شىء مستطاع ؟

وكما قال الرب «كل شيء مستطاع للمؤمن» (مر ٩ : ٢٣). هل تشعر أن هناك شيئاً صعباً أو مستحيلاً، أو لا يصدق إيمانك بأن الله يمكن أن يعمله؟ هل تقف فى شك أمام الأشياء التى تحتاج إلى معجزة؟! هل يمكنك أن تقول كما قال القديس بولس الرسول «أستطيع كل شيء فى المسيح الذى يقوينى» (فى ٤ : ١٣). هل تهزك العقبات والصعوبات بحيث تقول «لا فائدة»؟! هل يحاربك اليأس؟

إن اليأس ضد الإيمان، وضد الرجاء، من كل ناحية.

لا شك إن المنتحرين فقدوا إيمانهم ورجاءهم، وشعروا أنه لا حل، كما فقدوا الإيمان بحقيقة الحياة بعد الموت فى الأبدية ومصير المنتحرين فيها.

وكذلك الذين استسلموا للأمر الواقع، أو للضغوط الخارجية، وخضعوا للخطية، لم يؤمنوا إطلاقاً أن هناك قوة يمكن أن تسندهم وتخلصهم.

إن الإيمان قوة لمن يستطيع أن يستخدمها فى ثقة بلا شك.

أخشى أن يكون الإيمان فى أيدى البعض كعصا أليشع فى يد جيحزى (٢مل ٤ : ٣١). وأخشى أن يكون الصليب فى أيدى البعض كذلك: يحسنون حمله ورشمه، وليس الإيمان به. معهم الصليب وليست معهم قوته التى هى كامنة فى الإيمان به وبعمله...

هل تظنون أن عصا موسى هى التى شقت البحر الأحمر؟ أم هو إيمان موسى حامل هذه العصا ومستخدمها باسم الرب؟

فهل لك قوة الإيمان التى كانت لموسى حينما ضرب البحر بعصاه؟

إنك كثيراً ما تصلى. ولكن هل فى صلاتك الإيمان الذى يعطى لهذه الصلاة قوة؟ ما أعجب قول الكتاب حين قال عن إيليا إنه «صلى صلاة» (يع ٥ : ١٧). وهذه الصلاة لم تكن عادية كصلوات باقى الناس، إذ أنها استطاعت أن تغلق السماء مرة، وأن تفتحها مرة أخرى...

إختبر إيمانك إذن بالقوة التى لك نتيجة علاقتك بالله.

٥ - إختبار الإيمان فى الضيقة :

الضيقات تحل بكل أحد . ولكن هناك فرقاً كبيراً بين المؤمن وغير المؤمن فى الروح التى تُستقبل بها الضيقة .

إن كانت الضيقة تفقدك سلامك ، فاعرف أن إيمانك ضعيف .

المؤمن يستقبل الضيقة مؤمناً أنها للخير ، وأن الله سيحلها . فلا يتضايق فى داخله ، ولا يضطرب ، ولا تنشغل أفكاره بها ، ولا يتعب قلبه بالحزن والألم . إنما يواجه الضيقة بثلاث آيات هى «كل الأشياء تعمل معاً للخير، للذين يحبون الرب» (رو ٨ : ٢٨) ، و«إحسبوه كل فرح يا إخوتى ، حينما تقعون فى تجارب متنوعة» (يع ١ : ٢) . وأيضاً «كل شىء مستطاع للمؤمن» (مر ٩ : ٢٣) . وبهذا الإيمان يفرح قلبه فى الضيقة ، و يتعزى الناس بفرحه .

المؤمن يضع الله بينه وبين الضيقة ، فتختفى الضيقة و يظهر الله .

و يذكر يد الله التى كانت مع القديسين فى كل ضيقاتهم «وملاك حضرته خلصهم» (اش ٦٣ : ٩) . يذكر ما حدث لموسى و يوسف وداود وأيوب ودانيال وللثلاثة فتية . وكل هذه الذكريات تزيده إيماناً بالله وثقة فى تدخله وعمله . وهكذا لا يتزعزع فى الضيقة ، ولا يشك ولا يحزن ولا يحمل هماً... بل يقول مع المرتل «نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين . الفخ انكسر ونحن نجونا ، عوننا من عند الرب الذى صنع السماء والأرض» (مز ١٢٤) .

يقول للرب : مادمت أنت موافق على الضيقة ، فأنا أفرح بها .

ليس فقط أقبلها ، أو أرضى بها ، إنما أحسبه كل فرح أن الرب يعطينى بركة هذه الضيقة... ما أجمل ما قيل عن الآباء الرسل بعد أن جلدوهم «وأما هم فذهبوا فرحين... لأنهم حُسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل إسمه» (أع ٥ : ٤١) .

المؤمن مهما بدت كل الأبواب مغلقة ، يرى باب الله مفتوحاً .

إنه يؤمن بالله ، الذى بيده مفاتيح السماء والأرض « الذى يفتح ولا أحد يغلق» (رؤ ٣ : ٧) . و يرتل هذا المؤمن مع القديس يوحنا الرائى قائلاً «بعد هذا نظرت ، وإذا باب مفتوح فى السماء» (رؤ ٥ : ١) . بل اختبار الإيمان بأن ترى

جميع الأبواب مفتوحة أمامك. وكلما ترى أمامك باباً مغلقاً، تقول: ليس هذا هو الباب الذى يريدنى الله أن أدخل منه. هناك أبواب أخرى كثيرة مفتوحة عند الله. وهناك أبواب مغلقة الآن سيفتحها فيما بعد... وبهذا الإيمان تستريح.

٦ - إختبار الإيمان ببعض الوصايا :

أ - من الوسائل التى يُختبر بها الإيمان : العشور أو العطاء عموماً. وبخاصة إذا كان هذا المؤمن محتاجاً، أو مطلوب منه أن يعطى من أعوازه. ضعيف الإيمان يقول «إن كان المرتب كله أو الإيراد كله لا يكفى، فكيف يكون الحال إن نقص أيضاً عشره؟!». أما المؤمن فإنه يقول: إن إعطائى العشور، يجعل الباقى مباركاً فيكفى ويزيد...

إن العشور إختبار روحى عرضه الرب نفسه فى سفر ملاخى فقال :

هاتوا جميع العشور... وجربونى بهذا، قال رب الجنود: إن كنت لا أفتح لكم كوى السماء، وأفيض عليكم بركة حتى لا توسع... (ملا ٣: ١٠). فإن كان الشخص -على الرغم من هذا الوعد الإلهى- لا يدفع، فلا شك أن إيمانه يكون ضعيفاً فى وعد الله وفى بركته. وقبل ذلك فى وصيته...

إن كان هذا فى العشور، فماذا عن وصيته : من سألك فاعطه؟ (متى ٥: ٤٢). وماذا عن وصية «إذهب بع كل مالك واعطه للفقراء» (متى ١٩: ٢١). وماذا عن وصية «بيعوا أمتعتكم [أو مالكم] واعطوا صدقة» (لو ١٢: ٣٣)؟

بهذا يختبر إيمانك: هل الله قادر أن يعولك بما يبقى بعد دفع نصيب الفقراء؟ وأيضاً هل هو قادر أن يعولك دون أن تكنز لك كنوزاً على الأرض (متى ٦: ١٩).

ب - من الوصايا التى يختبر بها الإيمان أيضاً : حفظ يوم الرب.

هل أنت تفرح بيوم الرب لكى تقضيه مع الرب؟ أم أنت تفضل عليه مشغوليات أخرى عديدة؟ هل أمورك العالمية أهم فى نظرك؟ وهل تأجيلها أمر لا تحتمله ولا تستطيع ترتيبه بتنظيم وقتك؟ إنه إختبار لإيمانك.

ج - وكذلك من الإختبارات الهامة : مدى محبتك للصلاة :

هل تنساها وتمر عليك أوقات كثيرة لا تصلى فيها ؟ وهل إذا وقفت للصلاة، تفكر كيف تنتهى منها لتنشغل بأمور أخرى تهمك بالأكثر؟ وهل أثناء صلاتك تسرح فى أمور أخرى، وتنسى أنك واقف أمام الله تخاطبه؟ إن كنت كذلك فلا يكون إيمانك قوياً بالله وبعشرته وبلذة الحديث معه...

وهكذا إن وضعنا باقى أمور الصلاة، وباقى بنود العمل الروحى، لتكون مجالاً لاختبار إيمانك.

٧ - إختبر إيمانك بمدى اهتمامك بأبديتك :

هل أنت مركز كل فكرك بقلبك فى هذا العالم الحاضر، ومدى نجاحك فيه، ومدى تمتعك به؟ أم أنت تهمك أبديتك، ويهمك مصيرك فى العالم الآخر، وتعد العدة لتلك الحياة كما يقول الرب «لتكن أحقاؤكم ممنطقة، ومصابيحكم موقدة. وأنتم تشبهون أناساً ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس، حتى إذا جاء وقرع يفتحون له للوقت. طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين» (لو ١٢ : ٣٥-٣٧).

إن السهر الروحى إختبار عميق للإيمان.

أما الغافل عن أبديته، فأين هو إيمانه ؟! أين إيمانه بالحياة الأخرى، والإستعداد لها بالتوبة والعمل الصالح، وبعشرة الله ومحبته، وبالزيت جاهزاً فى مصباحه... ؟!

٨ - إختبر إيمانك بصحة العقيدة :

هل هو إيمان سليم بعيد عن البدع وأخطاء العقيدة، وعن المفاهيم الخاصة؟ وهل هو «الإيمان المسلّم مرة للقديسين» (يه ٣). الذى أودعه الرسل أناساً أمناء كانوا أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً (٢تى ٢ : ٢). وهل هو موافق لكل تعليم الكتاب، أم تتبع فيه أناساً يعلمون فكرهم الخاص؟ بهذا إختبر إيمانك.

أقول هذا لأن العقيدة لها تأثير عملى فى حياة الإنسان الروحية.

٩ - إختبر إيمانك بصفات الإيمان السليم :

هل إيمانك إيمان عملى ؟ هل هو ثابت لا تزعزعه الظروف ؟ هل هو لا يضعف ولا يشك؟ هل هو مملوء بالسلام لا يعرف خوفاً ؟ وهل تعرف حياة التسليم وطاعة الإيمان، وهل إيمانك إيمان حى مثمر؟ وهل هو ينمو و يزداد ؟ وهل...

لست أريد أن أذكر باقى صفات الإيمان لتمتحن بها نفسك .

إنما إن أردت مزيداً من الموازين ، يمكن أن تعيد قراءة هذا الكتاب من أوله .

الكتاب المقبل

هناك ثلاثة كتب فى طريقها إلى المطبعة ، وإليك :

١ - كتاب « حروب الشياطين » وهو الجزء الأول من مجموعة (الحروب الروحية) .

٢ - كتاب الجزء الثالث من سنوات مع أسئلة الناس .

٣ - كتاب « الرجاء » وهو الجزء التالى لهذا الكتاب الذى بين يديك «حياة الإيمان» . وبعدهما كتب عن (المحبة) لتكمل المجموعة .



في هذا الكتاب

باسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين

هل أنت في الإيمان ؟

هل تحيا حياة الإيمان الحقيقي ؟
وهل لك الإيمان العملي ، الإيمان الحي المثمر ، الذي ينمو في قلبك يوماً بعد يوم ... ؟

ما هو الإيمان إذن ؟
وما أهميته ؟ وما أنواعه ؟
وما هو الإيمان البسيط ؟
وما موقف الإيمان من العقل ، وأيضاً من الحواس ... ؟
وما علاقة الإيمان بالفضائل ؟
وما هي حياة التسليم ؟
وما الذي يقوى الإيمان ؟
وما الذي يضعفه ؟

كل هذه الأمور وغيرها ... يحاول هذا الكتاب أن يدخل إليها في شيء من الصراحة ...

وعندما يصل هذا الكتاب إلى يديك ، يكون كتاب (الرجاء) في طريقه إلى المطبعة .

لأنها سلسلة عن « الإيمان والرجاء والمحبة » (١ كو ١٣ : ١٣) .

شنوده الثالث

